المشرق

الزلازل في سورية

بيان نواميسها وسيرها

للاب هنري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبلُ)

وقد أسهب الكَتَبة الشرقيّون(١ في وصف الزلزلة التي وقعت في تشرين سنة ١١٣٨ (صفر ٥٣٣) وكانت فيها الزلازل عديدةً هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد واشدّ ما كانت بالشام لا سيّما حلب. قال كمال الدين المعروف بابن العديم في كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب(٢ : وفي يوم الخميس ثالث عشر صفر حدثت زلزلة شديدة ثمّ أتبعتها اخرى وتواصلت الزلازل فهرب الناس من حلب الى ظاهر البلد وخرجت الاحجار من الحيطان الى الطريق وسمع الناس دويًا عظيمًا وانقلبت مدينة الاثارب. . . وهلك اكثر البلاد من شيح وتلّ عماد وتلّ خالد وزَرْدَنا. وشوهدت الارض تموج والاحجار عليها تضطرب كالحنطة في الغربال وانهدم في حلب دور كثيرة وتشعَّث السور واضطربت جدران القلعة . . . وتواترت الزلازل الى شوَّال وقيل ان عدتها كانت ثمانين زلزلة (اه). وروى السيوطي عن صاحب مرآة الزمان انها اهلكت مائتيْ الفٍ وثلاثين الف انسانٍ. الّا ان في هذا العدد غلوًّا ظاهرًا

٣

وربّما يشتدّ لظى النيران الداخلية حتّى تظهر مفاعيلهُ في الخطَّين ممّا اعني في الخط الساحليّ والخطّ الشرقيّ. فتكون حينئذٍ الزلازل اسوأ عاقبةً كما جرى في زلزلة سنة ٨٥٩

١) راجع الكتبة الشرقيين في حروب الصليبيين الجزء الاوَّل ص ٢٥ و ٤٣٣ والجزء الثالث ص ٥٠٢ و ٦٧٩ و ٦٨٠

٢) الجزء الثالث من الكتاب السابق ص ٤٣٩

(٢٤٥ هـ). قال الطبري (١ «كانت في هذه السنة بانطاكية زلزلة ورجفة في شوّال قتلت خلقاً كثيرًا وسقط منها الف وخمسمائة دار ... وسمعوا اصواتاً هائلة لا يُحسنون وصفها من كُوى المنازل ... وتقطّع جبلها الأقرع وسقط في البحر فهاج. وارتفع منهُ دخان مظلم مُنتن وغار منها نهر على فرسخ لا يُدرى اين ذهب. واصاب حمصَ ودمشق والرها وطرسوس وادنة وسواحل الشام وارجفت اللاذقية فما بقي منها منزل ولا افلت من اهلها الّا اليسير وذهبت جَبَلة باسرها». وحدث مثل هذه الزلزلة في سنة ١١٥٧ (٥٥٢ هـ) خرب فيها بلاد كثيرة منها حماة وحمص وانطاكية واللاذقية وطرابلس وبيروت وصيدا. وصور وعكة. امّا قلعة شَيْزَر فخربت كلّها وقتل فيها جميع بني مُنْقِذ لانّ صاحب القلعة كان في ذلك اليوم ختن ولدًا له وعمل دعوةً دعا اليها كلّ بني مُنْقِذ في داره. وكان له فرس يحبّهُ ولا يكاد يفارقهُ فكان المهر يومئذٍ على باب الدار فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فلمّا وصلوا الى الباب رمح الفرسُ رجلًا كان اوّلهم وامتنع الناس من الخروج فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة لم ينجُ منها الّا الشريد (١

وبما رواهُ المؤرخون عن المدن المصابة بزلزلة سنة ١٢٠٢ (٥٩٨ هـ) وهي بالخصوص حماة ودمشق وصور يمكن ان نستنتج ان الخطّين المشار اليهما قد أُصيبا ايضًا على السَّواء. وقد روى عبد اللطيف البغدادي تفاصيل هذا الحادث في كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة بمصر (طبعة مصر سنة ١٢٨٢ ص ٥٩) فاحببنا نقل كلامه ملخصاً لما فيه من الفوائد المثبتة لغرضنا. فانّهُ بعد وصفه لما عاين من امر الزلزلة في مصر اردف قولهُ:

«ثم اخذت الاخبار تتواتر بحدوث الزلزلة في النواحي النائية والبلاد النازحة في تلك الساعة بعينها والذي صحّ عندي انّها حُرّكت في ساعة واحدة طائفة من الارض من قوص الى دمياط والاسكندريّة ثم بلاد الساحل باسرها والشام طولًا وعرضاً وتعفّت بلاد كثيرة بحيث لم يبقَ لها أثر ...

«وسمعنا انّ الزلزلة وصلت الى اخلاط ونحوها والى جزيرة قبرس وانّ البحر ارتطم وتموّج وتشوّهت مناظرهُ فانفرق في مواضع وصارت فرقهُ كالاطواد وعادت المراكب على الارض وقذف سمكاً كثيرًا على ساحله»

---

١) راجع ابن الاثير في تاريخ سنة ٥٥٢ هـ

ثم ذكر عبد اللطيف نسخة كتابين وردا من حماة ودمشق يقال في الاول: «انّا كان سحرة يوم الاثنين ٢٦ من شعبان حدثت زلزلة كادت الارض تسير لها سيرًا والجبال تمور مورًا وما ظنّ احد من الخلق الّا انّها زلزلة الساعة . واتت دفعتين في ذلك الوقت امّا الدفعة الاولى فاستمرّت مقدار ساعة او تزيد عليها وامّا الثانية فكانت دونها ولكن اشدّ منها. وتأثّر منها بعض القلاع فاوّلها قلعة حماة مع اتقانها (١ وعمارتها وبارين مع اكتنازها ولطافتها وبعلبكّ مع قوّتها ووثاقتها. . . ثمّ حدث في يوم الثلاثاء (٢٧ منهُ) عند صلاة الظهر زلزلة استوى في علمها اليقظان والنائم وتزعزع لها القاعد والقائم. ثمّ حدثت في هذا اليوم ايضًا وقت صلاة العصر. ووصل الخبر من دمشق بانّ الزلزلة افسدت فيها منارة الجامع الشرقيّة واكثر الكلاسة والبيمارستان جميعهُ وعدّة مساكن تساقطت على اهلها فهلكوا»

وفي الكتاب الآخر بعد تفصيل ما جرى من الخراب بدمشق يقول الكاتب: «وذُكر عن بلاد المسلمين انّ بانياس سقط بعضها وصفد كذلك ولم يبقَ بها الّا من هلك سوى ولد صاحبها وكذلك تبنين ونابلس لم يبقَ بها جدار قائم سوى حارة السّمرة ويذكر انّ القدس سالم والحمد لله. وامّا بيت جنّ فلم يبقَ منهُ ولا اساس الجدران الّا وقد اتى عليهِ الخسف. وكذلك اكثر بلاد حوران غارت ولم يعرف لبلد منها موضع يقال فيهِ: هذه القرية الفلانية. ويقال انّ عكّة سقط اكثرها وصور ثلثها وعرقة خُسف بها وكذلك صافيتا. وامّا جبل لبنان فهو موضع يدخل الناس اليهِ بين جبلين يُجمع منهُ الريباس الاخضر فيقال انّ الجبلين انطبقا على من بينهما وكانت عدّتهم تناهز مائتي رجل. . . واقامت بعد ذلك الزلازل اربعة ايّام تحدث في النهار والليل. ونسأل الله لطفهُ وتدبيرهُ وهو حسبنا ونعم الوكيل»

وممّا جاء في اخبار المماليك للمقريزي (٢ في تاريخ سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٧) ما ملخّصهُ: «انّ البريد المرسل من حماة اتى مصر بكتاب مسجّل بتوقيع قاضي المدينة وفيهِ انّ في منتصف بعض الليالي سمع اهل بارين دويًا هائلًا في الجبلين التي بينهما موقع قريتهم. فلمّا اسفر الصباح اسرع القوم زرافاتٍ الى محلّ الحادث فاذا باحد الجبلين قد انصدع في

---

١) وقد ذكر ابو الفداء خراب قلعة حماة في تاريخ هذه السنة ولم يزد على ذلك تفصيلًا

٢) Ed. Quatremère, IV, 261

وسطه فانضمّ قسم منهُ الى الجبل الآخر الموازي لهُ وبقي قسمٌ في موضعهِ وكان طول القسم المنتقل مائة وعشر اذرع والمسافة التي قطعها مائة ذراع ولم يصبهُ في انتقالهِ ادنى تغيير. وبقيت المياه الجارية في الوادي بين الجبلين على حالها. وكان لهذا الامر المستغرب شهرة عظيمة فاتى قاضي حماة بشهود وتحقَّق الامر وسجَّلهُ »

وبارين هذه في وادي العاصي في ممرّ خطّ سوريّة الشرقيَّة. ولا شكّ ان ما رواهُ المقريزي قد سبَّبتهُ زلزلةٌ وقعت في تلك السنة لم يفدنا عنها شيئاً غيرهُ من المؤرخين

وفي ما ذكر مؤرخو عصرنا عن زلزلة ١٨٣٧ ان الهزَّة الاخيرة التي وقعت في اوَّل كانون الثاني ابتدأت من جهة بحر لوط واجتازت بلاد الشام طولًا وتركت في سيرها آثار الخراب والدمار. فتعفَّت آثار مدينة صفد وتواترت الهزَّات في صور ودامت زمناً طويلًا. ولمَّا مرّ بعض السيَّاح في هذه البلدة بعد وقوع الزلازل بقليل اخبرهُ اهلها انَّهم شعروا مدَّة بضعة دقائق بهزَّاتٍ قويَّة بحيث خُيّل لهم ان الرأس الذي عليهِ مبنيَّةٌ مدينتهم كاد ينفصل عن الساحل فيندحر في غمر البحر. وشهد لهُ الملَّاحون ان سطح البحر تصاعد من الجهة الغربيَّة فوق الصخور وذلك دليل بيّن على خَسْف في الارض(١

٤

لقد تغيَّر مركز حركات الزلازل في مختلف اطوارها وانتقل كانتقال شرَد الكهرباء ذهاباً واياباً في الاسلاك التلغرافية. فمن ثمَّ نرى سير الزلازل في بعض الاوقات ينتقل على الخطَّين المتوازيين السابق ذكرهما ثمَّ ينعكس متقهقراً. ومثال ذلك زلزلة سنة ١١٥٧ م فانَّ السيوطي ذكر ان الهزَّة اتت من الشمال الى الجنوب مارَّة بحماة ثمَّ حمص ثمَّ دمشق وانها عادت ثانية الى الشمال فشُعِر بها في حلب

وكان مبدأ الهزَّات الارضيَّة في سنة ١٧٥٩ واقعاً في ٢٠ نيسان فشعرت بها حلب خفيفةً ثم تفاقمت فابتُلي بها اهل طبريَّة وجوارها في ٣٠ تشرين الاوَّل وفي غرَّة كانون الثاني. ثمَّ تغيَّر مركز قوَّتها فمالت الى الشمال واصابت بعلبك وبلاد البقاع بضرباتها هائلة دُمّرت بسببها عدَّة امكنة وتزعزعت آثار قلعة بعلبكّ الشهيرة فخرب منها جانب كبير وبلغ عدد القتلى عشرين الفاً. وعقيب ذلك بثلاثة ايَّام عادت الزلازل الى حلب فكادت تقوّض اركانها وبقي وادي الاردن رائعاً في الراحة والسكينة مدَّةً مائة سنة

(١ Jules de Bertou : *Topographie de Tyr*, p. 8

وبعكس الامر اخذت حركات الزلازل تتكرّر مذ ذاك الحين في الخطّ الساحلي. وفي ١٤ شباط ١٧٦٤ جملت طرابلس تمود وتهتز. وفي السنة التالية كان سيران الزلازل يتردّد بين حلب وطرابلس وبقيت كذلك عدّة سنين حتّى انتهت بزلزال مريع شعرت به اللاذقية سنة ١٧٩٦ في ٢٤ نيسان فعاد خطّ الساحل الى هدوّه مدّة

ولم يتّسع نطاق مراكز حركات الزلازل اتساعاً بالغاً في سنة ١٨٢٢. فبعد ان سبقت لها علامات معلومة اخذت الهزّات تتناوب حلب في صبيحة ١٣ آب بشدّة غير مألوفة حتّى اخربت معظم تلك البلدة الزاهية العامرة. وفي الايام التالية انتقلت نقطة الحركات الارضيّة الى انطاكية وانتهت الى اللاذقيّة. ثمّ عاودت الزلازل حلب في ٥ ايلول فدهمتها بمصاب جلل فهلك من جرّائها عشرون الف نسمة. ولم تزل الهزّات تتوالى الى ايار في سنة ١٨٢٣. فمذ ذاك الحين انتقل مركز حركة الزلازل الى الغرب في جهات انطاكية ومذ شهر حزيران من تلك السنة حلّت بها مرّة بعد اخرى جرعت اهلها المضض بينما عاد لحلب قرارها

وآخر اطوار الزلازل المشتهرة في سوريّة انّما كان في سنتي ١٨٧٢و١٨٧٣. وبدء وقوع الزلزلة الاولى في ٣ نيسان سنة ١٨٧٢ اصابت شمالي سوريّة وكانت نقطتها المركزيّة ما بين انطاكية والسويدية. فكان عرضها قليل الاتساع امّا طولها فامتدّ من ديار بكر الى بيروت ثمّ سارت الهزّات نحو الشرق وفي ٥ آب تفاقمت وابتلى الله بها البلاد الواقعة بين انطاكية وحلب. وفي غرّة السنة التالية عادت انطاكية فصارت مركزًا لصدماتها المرهبة وانتهت برجفات شديدة شُعِر بها على مدى ساحل فينيقية من يافا الى بيروت

٥

فممّا تقدّم يظهر للقرّاء انّ البلاد التي استشرى فيها فساد الزلازل اكثر من سواها انما هي الواقعة في ضواحي حلب وانطاكية(١ اعني في جوار السهول الشاميّة التي اليها تنتهي آخر تفرّعات جبال كيليقيـة. ومجمل ما راقبهُ العلماء من الزلازل في سوريّة يبلغ بالمدّ ١٢٣ زلزلة فاثنتان وستون منها كان معظم قوّتها في ما توسّط بين هاتين البلدتين. فليت شعري كيف لا يزال بعد هذه النوائب المتواترة اهل حلب مستوطنين بلدتهم. ولا جرم انّ ثباتهم فيها رغمًا عن هذه الاخطار لدليل بيّن على مكانتها في الخطارة

١) راجع تاوفانس في تاريخ سنة ١٣٣ و ٤٠١ و٤٦٩ وتاريخ الدول لابي الفرج في سنة ١٣٧ و١٤٥

وحُسن موقعها للتجارة وذلك هو السبب الذي يحمل اهلها على تعميرها بعد نكباتها بالزلازل. ويصحّ قولنا هذا في انطاكية نفسها ولو خمل ذكرها في زماننا

وللاذقية بعد حلب وانطاكية المقام الثالث في أنصبة الزلازل المشؤومة ما لم تُقدَّم عليها صور لانّ هذه ايضاً منذ عهد قديم اشتهرت بما يحلّ بها من الزلازل كما شهد على ذلك كوينتس كورسيوس (الكتاب ٤ فصل ٤)

واذا أُصيب الخطّ الشرقي المارّ في واديَي العاصي والاردنّ اهتزّت ايضاً غالباً ضواحي دمشق كما جرى الامر في السنين الآتية ١١٣٨ و ١١٥٧ و ١١٧٠ و ١٢٥٩ الخ. ولكن قد يغلب عليها حسن العاقبة فلا تأتي بضرر كبير. ولم تعدّ دمشق الفيحاء نفسها مركزاً للزلازل اللهمّ الّا في النادر. فاذا اصيبت يكون ذلك عَرَضاً لوقوعها في جوار خطّ سوريّة الشرقي المجتاز بطريق البقاع ووادي الاردنّ

وقد قرأنا في مقالة للدكتور شِيلن عن هواء اورشليم (١ انّ اكثر وقوع الزلازل في وقت الامطار فانّ رُصّاد الحركات الارضيّة وجدوا انّهُ في مدّة اثنتين وعشرين سنة قد رُصد اثنتا عشرة زلزلة فتسعٌ منها حلّت في فصل الامطار. وكان قد سبقهُ الى هذه الملاحظة الجغرافيّ الشهير مَلْتَ برون (٢ فقال صريحاً: انّهُ لمن المقرّر بالمراقبة انّ اغلب الزلازل تقع في الشتاء بعد امطار الخريف. وقد زاد على ذلك علماء الجمعيّة الجغرافيّة في برلين (٣ انّ حلول الزلازل في سوريّة وقت تهبُّ الريح الجنوبية الشرقية فيثقل الهواء ويعتكر الجوّ من جرّائهِ كما يحدث ذلك عند لفح السَّموم (الشلوق)

وكنّا نودّ ان نقابل هذه الملحوظات مع اقاويل الكتّاب الاقدمين الّا انّ المؤرخين الشرقيين لم يأتوا بهذه التفاصيل المفيدة واستغنوا بالاوصاف العامّة. امّا الوقائع التي عيّنوا تاريخ شهرها ويومها فثلاث عشرة تسعٌ منها جرت في الشتاء من غرّة تشرين الثاني الى غاية نيسان وذلك مؤيّد لقول الدكتور شِيلن السابق ذكرهُ

وفي ختام مقالتنا نطلب من الله ان يصون بلادنا من شرّ هذا البلاء العظيم ويا ليت الاهلين يأخذون منهُ حذرهم فيكونوا على مقتضى قول الانجيل مستعدّين لملاقاة ربّهم

---

١) Z. D. P. V., XIV, 98

٢) Géogr. II, 409

٣) اعمال سنة ١٨٤٤ ص ٢٤٣

الفيلوكسيرة او دودة الكرم

لجناب الشاب الاديب سليم افندي اصفر

(تابع لما قبل)

وسائل ابادة الفيلوكسيرة

ان الوسائل التي استنبطها المشتغلون بوقاية الكروم من آفة الفيلوكسيرة هي عديدة ولكن اكثرها لا يجدي فائدة ونقتصر هنا على المعالجات المستعملة اليوم قاسمينها الى ثلاثة اقسام تسهيلاً لدرسها. وهي الوسائل الكيماوية والطبيعية وغرس الدوالي الاميركية

(الوسائل الكيماوية) — هي الوسائل القاتلة لحشرات مثل سولفور الكربون وسولفات كربونات البوتاسا والتبييض بالكلس

١ سولفور الكربون. — يجب استعماله وقت ظهور المرض اذ يكون الأذى غير بالغ من الجرائم مبلغاً متقدماً. اما بعد ذلك فان مضرته اكثر من منفعته لان الجرائم تكون بحالة من الضعف لا تمكنها من احتمال الجرعات الضرورية لنيل المقصود. ولا تحصل نتيجة مرضية الا في الاراضي العميقة المعتدلة الصلابة اي التي لا تكون كثيرة الرطوبة ولا كثيرة الجفاف او كثيرة الحصى. فانها اذا كانت كثيرة الرطوبة يبطئ تبخر السائل القاتل الحشرة وربما اتلف اصول الدوالي. وان كانت كثيرة الجفاف سهل ذلك تطاير السولفور في الجو. اما الاراضي الكثيرة الحصى فانه يصعب فيها استعمال الآلات المتخذة لايداع السائل فيها حتماً

وينبغي ايلاج سولفور الكربون بالمساواة الممكنة في كل الطبقة التي تكون فيها اصول الدوالي. ويحسن أن تصنع الثقوب على مسافة ٢٥ الى ٤٠ سنتيمتراً من الجذور. ولك ان تستعمل هذا العلاج في اي وقت شئت من السنة ولكن الافضل استعماله في الشتاء. اما أحسن آلة تستعمل لادخاله حتماً في الارض فهي آلة غستين (pal Gastine) التي تتركب من اسطوانة معدنية قائمة بتمام حوض مملوء من المائع القاتل للحشرة وفي داخلها مضخة (طلمبة) وفي المضخة مكبس ولانبوب طويل خزاق ينفذ التربة ناقلاً اليها سولفور الكربون. اما الكمية التي يجب استعمالها في الهكتار فبين ١٥٠ و ٢٥٠ كيلوغراماً

٢ سولفات كربونات البوتاسا . — يُستعمل هذا العلاج ممزوجاً بالماء ثم يجري ادخالهُ في التربة . وهو عبارة عن ملح يستخرج من سولفور الكربون ولذلك فهو يترك في الارض كمية من كربونات البوتاسا التي هي سماد جيّد وهو اقلّ خطراً على الدوالي من سولفور الكربون الّا انهُ اوفر كلفةً فضلاً عن ان فاعليتهُ في قتل الحشرة أقلّ من فاعلية العلاج السالف

٣ التبييض بالكلس . — وهو ان تطلى الجذور بالكلس . واوّل من اشار بهذا العلاج المسيو باليياني احد الاساتذة في المدرسة الافرنسية (Collège de France) اتلافاً للبيضة الشتوية التي سبق الكلام عليها . ولكن بما انهُ قد ثبت ان الفيلوكسيرا يمكن ان تتولّد دون لقاح الذكر اربع سنوات في الاقلّ كانت هذه المدة من الزمن كافية لاجل اتلاف الكروم

(الوسائل الطبيعية) . — هي غرس الكرم في الاراضي الرملية وتغريق التربة . ففي الحالة الاولى يعتبر الخلاء الواقع في الرمل غير كافٍ لحركة الحشرات الصغيرة لانها كلما تحركت ارتفعت حولها بعض حبوب الرمل وهكذا يلامسها من كل صوب وجهة ولا يبقى بينها وبينهُ سوى فُرَج شعرية فاذا مرَّ في خلالها احاطت بالحشرة وبيضها طبقة رطبة مستمرة تضيق عليها مجال التنفس وتجرّ اليها الموت . وهذا رأي ڤالنتشيني

امّا التغريق فقد حصلت عنهُ نتائج مرضية جدًّا في كل محل يتيسّر استعمالهُ وهو يقوم بان تغطّى كل سنة ارض الكروم بطبقة من الماء ارتفاعها من ٢٠ الى ٢٥ سنتيمترا مدة ٣٠ الى ٤٠ يوماً وذلك ان تبتدئ هذه المدّة مع رجاء الدفع عقيب القطاف وتصلّب الزراجين اي في شهر تشرين الثاني . امّا كمّية الماء التي يجب استعمالها في هذا العمل للهكتار الواحد فتختلف بين الف والف وخمسمائة متر وقد ينبغي احياناً ان تكون ثلاثة آلاف متر حسب طبيعة الاراضي

(غرس الدوالي الاميركية) . — ان الدوالي الاميركية التي اتت بعدوى الفيلوكسيرا لم تكن تتلف من جرّائها بل كانت تعيش والعدوّ عاجز عن ان يعدمها الحياة . امّا الدوالي الاوربية فما كانت لتقدر على مقاومة الفيلوكسيرا بل تموت متأثرةً من اذاها . ولمّا لاحظ العلماء الافرنسيون المشتغلون بامور الكرمة هذه الملاحظة رأوا استعمال الدوالي الاميركية احسن وسيلة للشفاء من داء طال أمدهُ . وهذا هو السبب في بعثة المسيو بلانشون الى اميركا فعاد منها مؤيّداً تأييداً مطلقاً رأي العلماء المذكورين . وبعد مدّة أُرسلت بعثة أُخرى برئاسة الاستاذ الشهير مدرس تربية الكرم في مدرسة الفلاحة بباريس وقد مكّنت المشتغلين بهذه المسائل من

وضع اساس لدرس الانواع الاميركية من حيث درجة مقاومتها للفيلوكسيرة وموافقتها لاشكال التربة على اختلافها وقابليتها لطعم الانواع الموجودة في البلاد لانَّ اغلبها لمَّا لم يكن ممكنًا الانتفاع منهُ بصفة حامل مباشر للعنب يستخدم فقط مثل حامل للطعم

ولا يحسن السكوت هنا عن المقام الرفيع الذي حصلتهُ مدرسة الزراعة في مونبليه فقد كانت في هذه السنوات الاخيرة اعظم واخص مدرسة في تربية الكرمة لا في فرنسة وحدها بل في العالم ايضًا

ان مقاومة الدوالي الاميركية للفيلوكسيرة متأتية عن الفرق الكائن بين تركيب نسيج اصولها وتركيب نسيج اصول الكرمة الاوربية المدعوة بلغة النباتيين (Vitis Vinifera) فان اصول الاولى هي في حالة من التخطُّب اكثر مما هي عليهِ اصول الثانية كما ان القشرة فيها ارق واكثف والاشعَّة الخيَّة هي اضيق واكثر عددًا ومكوَّنة من خلايا أصغر وذات جدران اسمك واقلّ تأثيرًا من التغييرات التي تتسبَّب عن وخزة الحشرة. ولا ينتج من هذا ان جميع الدوالي الاميركية تقاوم الفيلوكسيرة بدرجة واحدة بل ذلك بنسبة اكتمال هذه الخصائص فيها او ضعفها

ثم ان كل الدوالي الاميركية لا تتلاءم كل انواع التربة والمناخات المختلفة فيترتب على من يريد غرسها ان يعتمد افادات العلماء الخبيرين لانهم يعرفون اوصاف التربة التي توافقها وقد وضعوا لذلك جدولًا سمّوهُ « جدول المقاومة » كما انهم وضعوا جدولًا آخر سموهُ جدول قابلية الفيلوكسيرة لاصناف الدوالي الوطنية

امَّا انواع الدوالي الاميركية التي يشاهد نسيجها اوفر موافقة للالتحام مع طعم الدوالي الوطنية فهي الآتية اسماؤها :

V. Riparia, Jacquez, Vialla, Taylor, Berlandieri, Rupestris

ا امَّا افضل الوسائل التي عددناها لانقاذ الكرمة من الفيلوكسيرة فهي غرس الدوالي الاميركية مكان الوطنية على شرط ابقاء متقضياتها. ولكن كيف السبيل الى استعمالها في ناحية سليمة دون نقل المرض اليها ؟ نجيب ان المسألة خطيرة وتؤيد خطارتها العناية التي اتخذتها الدُّول المختلفة في استجلاب الدوالي المذكورة . وغاية ما يقال في هذا المقام انهُ لا يسوغ ادخال دوالي اميركية او غيرها صادرة من بلاد موبوءة الى محلّ سليم . اما اذا كان هذا المحل السليم قد تلوَّث لسبب من الاسباب في بعض انحائه ومسَّت الحاجة الى الاستعداد

لمقاومة الداء وجب الجري في استجلاب الدوالي الاميركية او الاوربية على القاعدة الثابتة يجب ادخالها مُسرعًا دون ساق لاسيما بعد ان يكون قد سبق تطعيمها او تكثيرها بطريقة الزرع . وكل طريقة اخرى في استجلابها مضرة وممنوعة . وهكذا اذا حلَّ الداء لا يهاجمنا ونحن غافلون بل يكون عندنا غراس نستطيع ان نزرعها بدل الاصول المريضة ونكون قد اهتممنا لصالحنا دون ان نضر بصالح البلاد العام

استعمال الكحل

للدكتور كامل سليمان الخوري من حمص

ما اعظم ما كان جذلي وحبوري لدى تلاوتي المقالة التي ادرجها (في المشرق ص ٢٠٧) استاذي النطاسي الفاضل الدكتور شاكر افندي الخوري . فانهُ الحق لقد كان لصدى مقالته رنة إستحسان عند كلّ طبيب ذي ضمير حرّ نظرًا لما يُقاسي من الأتعاب ويتجشّم من المصاعب في محاولته إبطال عوائد قد تمكنت من الأهلين ولا تمكّن الشرايين من الجسم . وقد كان خطر في بالي مرارًا عديدة ان أكتب ملاحظتي عن عادة استعمال الكحل السيئة هذه . ولكني لم اكن لأجسر على ابداء رأي جديد في فنّ الرَّمد خشيةً من ان يُحتسب ذلك بدعةً مني . فيا حبَّذا لو كان حضرة الاستاذ المومأ اليه يشرّف حمصنا فيرى ما يذهلهُ لانّ هذه العادة هي منتشرة عندنا هنا اضعاف مما هي في بيروت وملحقاتها من الجهات . وتبعًا للطبيب الذي يجسرُ ان يقول لامرأةٍ بان الكحل (المستعمل عندنا بكثرة حتى قلّما يخلو منهُ بيت) مضرٌّ للعيون فسقط اعتباره في عينها ليقينها الثابت انهُ « من احسن المقوّيات للجفون وأفعل مجليات النظر » وكم وكم من سيّداتٍ قد رغبنَ عن معالجتي إيّاهنَّ لكوني انذرتهنَّ بسوء العقبى اذا ما داومنَ استعمال الكحل المذكور

والعادة عندنا هي استعمال الكحل الحجري (الذي يجلب غالبًا من الحجاز) للطفل المولود جديدًا مدة اشهر متوالية « تقويةً لنظره وتشديدًا لجفونه ودرءًا لما ربما يطرأ عليه من امراض العيون » . وكلما دمعت عينا الطفل اكثرت لهُ أمُّهُ من الكحل وهكذا يصبح السبب مربوطًا بالنتيجة الى ما شاء الله

وممّا لا يحتاج الى برهان انهُ اذا كانت الامّ غير حاذقة بوضع مِرْوَد (ميل) الكحل

في عين ولدها ينتج عن ذلك ان يتحرك الطفل ويحصل لهُ اذًى ليس بالقليل. ومن مزاولة استعمال الكحل وبسبب التهيّج المتكرّر تحصلُ انتفاخ في فوهة القناة الدمعية قد يؤدي الى انسدادها. وممّا يُساعدُ على ذلك ايضاً تراكم مادة الكحل غير القابل الذوبان. وبهذا الصدد اتذكّرُ حادثتين شاهدتهما أُرجح حصولهما عن استعمال تلك المادة: الواحدة منهما كفى لشفائها الامتناع عن التكحل وتكرير الغسول كل ساعة بمحلول الحامض البوريكي على النسبة الاعتيادية. وفي الثانية التي لم يكفِ ذلك لبرئها عرضتُ على المصابة وجوب تمديد القناة الدمعيّة فانكرت عليَّ ذلك وذهبتْ ولم اعلم ماذا جرى لها

ولمّا كان الشيء بالشيء يُذكر فلا بأس من ذكر ما يجريهِ النساء عندنا (ولا اعلم اذا كان ذلك جاريًا في محلّ آخر) ليلة عيد القديسة بربارة فانهنّ يتألّبنَ في البيوت ويعددنَ مدائح مخصوصة للقديسة المذكورة لا محلَّ لايرادها الآن ويُضعنَ شمعة يضعنَ فوقها وعاءً معدنيًا فيهِ ماءٌ الى ان يكون اجتمع مقدار من السناج (الشحّار) عليهِ فيحككْنَ بهِ المرودَ ويتكحّلنَ هنّ واولادهنّ والغريب النازل في بيتهنّ ظنًّا منهنّ بان من تكحّلَ هكذا لا يخشى الرمد في تلك السنة. ولما كانت هذه المسألة دينيّة (1 لا اتعرّض بابداء رأيٍ ما انما اوردتُ ذكرها تتمّة للموضوع. هذا واختم عبارتي باسداء مزيد الشكر لحضرة الاستاذ الفاضل كونهُ اوّل من قرع باب مسألة استعمال الكحل نظرًا لما ينجم من الفوائد الجمّة عن نبذها فلا زال نائمًا للانسانية وجزاه الله خير الجزاء وجزاء الخير والسلام

سلسلة بطاركة الطائفة المارونية

للبطريرك اسطفان الدويهي

عُني بنشرها المعلم رشيد الخوري الشرتوني

(تابع لما سبق)

وفي سنة ١٣٦٧ جرى الاضطهاد على رؤساء الكهنة واستُشهد في النار بمخارج مدينة طرابلس البطرك جبرائيل من قرية حجُولا. ثم عقبهُ البطرك داود الذي تكنّى بيوحنا واتخذ السكنى في دير مار سركيس القرن كقول الخوري دانيال الباني في تحرير الكتاب الذي

---

1) قلنا لا تعلّق لهذا الامر مع الدين وانما الدين بريءٌ من كلّ هذه العوائد السيئة التي يتّخذها بعض الجهلة في الاعياد او يلحقونها بالامور الدينيّة

نسخهُ سنة ١٣٩٧ ان «كان انجاز منهُ في سنة ١٧٠٨ يونانية على يد الخوري دانيال ابن الحاج سمان من قرية بان على زمان البطريرك داود المكنى يوحنا القاطن في دير مار سركيس القرن بارض حدين وكان بطرس مطراناً في دير قنوبين". ومما كتب المطران قورياوس الجاجي والخوري اليشع الحبيس والشماس موسى الماردبني وغيرهم نستدلّ على انهُ بلغ الى سنة ١٤٠٤

وخلفهُ على الكرسي المطران يوحنا الجاجي من بلاد جبيل وبعث فرا جوان قاصداً الى البابا اوجانيوس الرابع فحضر عليهِ في مجمع فلورنسة سنة ١٤٣٦ وجاء لهُ من قدسه بمكاتيب البركة ودرع الرئاسة. ولما دخل القاصد طرابلس الشام انتشرت البشائر بورود التثبيت وصارت بهجة كبيرة في كل البلاد حتى ان نائب المدينة قبض على فرا جوان وحبسهُ وبما ان بعض أناس من اعيان الطائفة تزلوا فكفلوه حتى أُفرج عنهُ ثم هرّبوهُ حتى عليهم النائب وأحرق بعض املاكهِ وقتل اناساً من رؤساء الطائفة وبعث فكبس دير ميفوق واخذ الرهبان الى طرابلس وتكلفت الطائفة من جراء ذلك اموالاً كثيرة. ولهذا السبب اضطرَّ البطريرك ان ينتقل من دير ميفوق الى دير سيدة قنوبين تحت حماية اولاد المقدَّم يعقوب (١

(١) ان فرا جوان هذا كان رئيساً على الرهبان الصغار في بيروت فلما انتهت مدة رئاستهِ انى الى السيد البطريرك يخبره بذلك وبعزمهِ على العودة الى بلاد النصارى فأوفدهُ البطريرك حينئذٍ رسولاً من قبله الى صاحب الكرسي الرسولي فسافر الى فلورنسة وعرض على الحبر الاعظم الكتابات التي كان قد أرسلها البطريرك وسائر رؤساء الطائفة واعيانها ناطقة بطلب التثبيت والخضوع لكل ما يحدّدهُ آباء المجمع. فسرَّ جدا الحبر الاعظم وثبّتهُ بطريركاً على الكرسي الانطاكي وانعم عليهِ بدرع الرئاسة وقلدهُ جميع الانعامات والامتيازات التي كانت للذين سلفوا قبلهُ. وبعث ايضاً برسالة اخرى الى الموارنة ورؤسائهم في جميع بلاد الشام مع الراهب البرتوس الذي كان سفيراً لموارنة بيت المقدس الى مجمع فلورنسة. وتجد نصّ الرسالة المذكورة في الصفحة ٣٩٣ من تاريخ الموارنة

وبقيت رسائل البطريرك ورؤساء الطائفة محفوظةً في رومية الى أيّام الاسقف جبرائيل القلاعي كما شهد في الرسالة التي كتبها سنة ١٤٩٤ الى البطريرك شمعون الحدثي قائلاً «من مائتين واثنتين وثمانين سنة وصاعداً حتَّى ايَّامنا هذه بينكم وخطوط ايديكم موجودة على يد فرا غريفون وفرا اسكندر وفرا سيمون في رومية وقبلهم على يد فرا جوان رئيس بيروت ووكيل وقاصد بطركم يوحنا الجاجي الى مجمع فلورنسة» (راجع المجلّة ص ١٤٧)

أمَّا المقدَّم يعقوب فتوفي سنة ١٤٤٤ فخلفهُ في المقدمية اولاده المقدم سيفا والمقدَّم قمر والمقدم مزهر

وفي سنة ١٤٤٥ قضى اجلهُ بكل قداسةٍ في دير قنوبين الذي منــذ الزمان القديم بناهُ تاودوسيوس الملك الكبير وكانت لهُ الرئاسة على سائر الاديرة بجبل لبنان. وعند ما كتب لهُ الملك الظاهر برقوق على صفيحة من نحاس ان يكون معفىً من كل التكاليف صار مسكنًا للمطارين ثم تجمَّل بكرسي البطريركية (١

وفي اليوم التاسع من دفنة البطريرك يوحنا الجاجي سنة ١٤٤٥ اجتمع رؤساء الكهنة والاديرة واعيان البلاد فصيّروا موضعهُ يعقوب بن عيد الحدثي الذي كان قد تربى في محبسة مار سركيس بالقرب من دير مار يوحنا المعروف بدير مار ابون بسبب ان رئيسه كانت لهُ الرئاسة على جميع الحبساء في جبل لبنان فارسل من جاءهُ بالتثبيت من البابا اوجانيوس. ولما تنيّح وخلفهُ البابا نقولا (الخامس) ارسل اليهِ مكتوبًا يخبرهُ فيهِ عن ارتقائه الى السدة البطرسية ويطلب منهُ الدعاء الصالح ويوصيه بالثبات على المحبة والاتحاد مع الكنيسة الرومانية على شبه سالفه البطرك يوحنا. وبعد ذلك جاءهُ مكتوب آخر من البابا كاليسطوس وكلاهما مصونان عندنا في دير قنوبين (٢ ودامت رئاسة هذا البطريرك اثني عشرة سنة

والمقدّم زين والمقدم بدر. قال صاحب مختصر تاريخ لبنان في أخبار مقدّمي بشراي انّهم حكموا حكمًا عادلًا واستتبت الراحة في ايامهم كما كانت في ايام والدهم الذي كانت مدة ولايته ٦٢ سنة

ثم ان البطريرك احضر اليهِ الراهب بطرس من فرّاره من الاخوة الصغار وأرسلهُ في شهر آب سنة ١٤٤٠ الى رومية بعريضة ضمّنها الشكر لقداسة الحبر الاعظم مع التأكيد بانهُ هو وشعبه يقبلون بكل ما بتّهُ الاباء في مجمع فلورنسة ولا سيما في ما يتعلق بانبثاق الروح القدس والخضوع لصاحب الكرسي الروماني لان ذلك تسلموه من القدم ولهم عليهِ ادلّة وشواهد وسألهُ اخيرًا ان يبعث اليهِ أناسًا علماء في شؤون الديانة لاجل الارشاد. فلما وقف البابا على كتابه انفذ اليهِ جوابًا لطيفًا مع فرا بطرس بعد ان ضمَّ اليهِ فرا انطونيوس من طروية وتجد ترجمة الجواب المذكور في الصفحة ٣٩١ من تاريخ الموارنة

١) ذكر المؤلف في كتابهِ المدعو « تاريخ الازمنة » بمعرض كلامه على حوادث سنة ١٣٨٨ ما حرفيّه « لما تدروش الملك الظاهر برقوق قدم على قرية بشراي شرقي طرابلس فاقام الشدياق يعقوب بن ايوب مقدَّمًا وكتب لهُ بذلك صفيحةً من نحاس. ثم نزل في دير قنوبين في ايّام رئاسة القس بطرس الذي أحسن استقباله وأعفى الدير المذكور من الاموال الاميرية وجعل لهُ التقدم على جميع ديورة تلك الجهات. ولما عاد الملك الظاهر الى الكرك كان البطريرك داود الذي دعي يوحنا مقيمًا بارض حردين في دير مار سركيس القرن فجعل القس بطرس اسقفًا وأسكنهُ في دير قنوبين المذكور »

٢) راجع ترجمة هاتين الرسالتين في الصفحة ٤٠٣ و ٤٠٤ من تاريخ الموارنة

ثم انتقل الى راحة الصالحين نهار الاربعاء لثمان خلت من شهر شباط سنة ١٤٥٨ وهو اول من ارتسم بطريركاً في دير قنوبين

وفي اليوم التاسع لوفاة البطريرك يعقوب خلفهُ بطرس بن يوسف بن يعقوب الشهير بابن حسَّان من قرية الحدث ارسل الاب فرا غريفون من رهبان القدس الى البابا بولس الثاني لتقديم الطاعة وطلب التثبيت فسُرَّ البابا من مكاتيبه وأرسل لهُ مع المذكور درع الرئاسة وعاش في البطريركية اربعاً وثلاثين سنة وقضى نحبهُ في سنة ١٤٩٢ في الثاني عشر من تشرين الاول (١

---

١) قال الدويهي في غير هذا الموضع (تاريخ الموارنة ص ٤١٣) انهُ كان بمعية فرا غريفون فراسيون وفرا اسكندر وجميعهم من الاخوة الصغار فاجلّ البابا بولس استقبالهم وانفذ لهُ معهم جواباً يثبّتهُ فيهِ على كرسي انطاكية ويحرّضهُ على الثبات في امانة الكنيسة الى غير ذلك وقد ارسل مع درع التثبيت حلَّة كاملة لخدمة الاسرار. وفي سنة ١٤٧١ انتقل الى رحمة الله البابا بولس المشار اليهِ فخلفهُ في رئاسة الكرسي البابا كوسطوس الرابع الذي كان قد ربي بين رهبان مار فرنسيس. فلما انتهى الامر الى البطريرك بطرس انفذ اليهِ رسائل الطاعة والتهنئة وسألهُ ان لا يتناقل عن الموارنة. فارسل لهُ البابا الجواب مع لودويكوس من ريباري غير ان المذكور مرض في اثناء الطريق فلم يستطع وصولاً الى جبل لبنان. وحينئذٍ كتب قداسة البابا الى الراهب بطرس من نابولي رئيس رهبان مار فرنسيس العام بتاريخ ٥ شباط سنة ١٤٧٥ يأمرهُ ان ينتخب كاهناً من رهبانه بارعاً في العلوم الالهية ويرسلهُ الى الموارنة سكّان جبل لبنان مصحوباً براهب او اثنين من اهل التقوى والكمال لكي يزورهم ويرشدهم اذا دعت الضرورة الى قواعد الايمان الارثوذكسي. وتقريراً لذلك ارسل اليهِ كتابة مآلها انهُ مع جميع الرؤساء الذين يخلفونهُ على تدبير رهبانية مار فرنسيس يجب ان لا ينقطعوا عن زيارة الرعية الانطاكية وان يرسلوا اليها واحداً من رهبانيتهم وانهم على من يرسلونهُ ان يكون صاحب كرامة وسلطة كما لو كان مرسلاً من البابا نفسه فلهُ ان يعرّف التائبين ويحلّهم من الحرم ومن الخطايا المحفوظة لصاحب الكرسي الروماني وان يبدل النذور باعمال اخرى صالحة ويحلّل الوجه الثامن والسابع من وجوه الزواج. ومن حيث ان البابا كان قد منح غفراناً كاملاً لكل من يزور الكنائس المعيَّنة في رومية فوّض اليهِ ايضاً ان يمنح ذلك الغفران للموارنة وان يرتب لهم كنائس معلومة ليزوروها ويحظوا بهِ كما لو زاروا رومية وقد ارسل اليهِ مع هذه المكاتيب مكاتيب أخرى الى البطريرك بطرس يخبرهُ عن جميع هذه الامور ويثني على امانته وعنايته برعاية الخراف الموكولة اليهِ

فيتضح مما مرَّ ان الاحبار الاعظمين اجابةً لالحاحات بطاركة الموارنة وكلوا وقتئذٍ رهبان القديس فرنسيس بقضاء شؤونهم الروحيَّة لكونهم كانوا على مقربة منهم

وفي النهار التاسع صُيّر بعدهُ ابن اخيهِ شمعون وهو ابن داود بن يوسف بن حسان فارسل القس بطرس مرتين الى رومية (١ وفي سنة ١٥١٥ اتاهُ بالتثبيت ودرع الرئاسة من البابا لاون العاشر واستمر على الكرسي اثنتين وثلاثين سنة وشهراً. وفي السابع والعشرين من تشرين الآخر من شهور سنة ١٥٢٤ رقد بسلام ولهُ من العمر ١٢٠ سنة. وفي اليوم التاسع من شهر كانون الاول صُيّر موضعهُ موسى بن سعادة من الباردة في بلاد عكّار ولم يأتهِ بطرشيل الرئاسة الّا سنة ١٥٦٢ من البابا بيوس الرابع مع الاسقف جرجس القبرسي بسبب انهُ ارسل اولًا انطون مطران الشام فوقع في أيدي لصوص في البحر ثم انهُ ارسل كثيرين الّا انهم كانوا غرباء وليسوا من اولاد الطائفة ودام في الرئاسة بعد التثبيت خمس سنين فتكون جملة سنيّ رئاستهِ اثنتين واربعين وثلاثة اشهر وعشرة ايام وأخلى الكرسي في ١٩ اذار (٢

ثم انهُ في اليوم التاسع عشر صُيّر الحبيس ميخائيل بن حنّا بن الرز من قرية بقوفا التابعة جبّة بشراي الذي ناب عن المرحوم في الحادي والثلاثين من شهر اذار من شهور سنة ١٥٦٧. وفي سنة ١٥٧٩ أرسل لهُ البابا غريغوريوس الثالث عشر مكاتيب التثبيت ودرع السلطة مع الاب جوان باطيشتا اليان ومع الاب جوان برونا من الشركة اليسوعية

و(١ لا يجوز السكوت عنهُ في هذهِ النبذة هو ان لبنان اشتهر في ايام ولاية المقدمين بالطمأنينة والراحة وكثرت فيهِ المدارس والكنائس وكان في بشراي وحدها مذابح على عدد ايام السنة وقصدهُ الناس من الاماكن البعيدة للسكن فيهِ. وكان في جملة الذين اتوهُ قسوس من اليعاقبة استمالوا بعض الموارنة الى مذهبهم وفي عدادهم المقدم عبد المنعم فبنى لهم هذا كنيسة بقرب داره على اسم برصوما. غير ان الموارنة أبت حميتهم الدينية ان تحتمل وجود هؤلاء بينهم فعملوا على تشتيتهم بعد مدة وجيزةٍ وتجد خبر ذلك مدوناً بالتفصيل في حوادث سنة ١٤٨٧ من تاريخ الازمنة

١) ومن شاء مزيد بيان لتاريخ البطريرك شمعون عليهِ بمراجعة تاريخ الازمنة للمؤلف نفسه في كلامه على حوادث سنة ١٤٩٢ و١٥١٤ و١٥١٥ و ١٥٢١

٢) انهُ في أيّام البطريرك المشار اليهِ خرجت كنيسة مار جرجس التي كانت للموارنة في القدس من ايديهم في خبر يطول شرحه. وقد توجّه بسببها الى المدينة المقدسة وقرّ رأيه على مشترى دار كبيرة بدلها ففعل ولكن لا نعلم كيف كان مصير هذه الدار. راجع تاريخ الازمنة في حوادث ١٥٥٩ والفصل التاسع عشر من الجزء الثاني من تاريخ الطائفة المارونية

فخدم الكرسي ١٤ سنة وخمسة اشهر وواحدًا وعشرين يومًا. وفي الحادي والعشرين من شهر ايلول استراح من شقاء هذه الحياة (١

وفي النهار التاسع ملك الكرسي الانطاكي اخوه الحبيس سركيس وفي حال ارتقائه الدرجة المقدسة جهَّز الاب جوان برونا ليؤدي الطاعة باسمه الى صاحب الكرسي الروماني وفي الرابع عشر من اذار سنة ١٥٨٢ قبل التثبيت من البابا غريغوريوس المشار اليه ودام فى الرئاسة ١٥ سنة واحد عشر شهرًا وستة وعشرين يومًا الى سنة ١٥٩٧ وفيها في ٢٥ آب تنيَّح بالرب (٢

وفي النهار التاسع حمل رؤساء الكهنة وكل الشعب يوسف بن موسى اخا المرحوم سركيس ودفعوهُ الى الكرسي الرسولي وبعد سنتين ارسل لهُ البابا اقليمس درع الرئاسة مع الخوري جرجس بن يونان فاستقرَّ على الكرسي عشر سنين وعشرة اشهر وسبعة وعشرين يومًا (٣ . وفي شهر آب سنة ١٦٠٨ قضى أجله وبعد موته ما زال الكرسي خاليًا

---

١) في ايامهِ سنة ١٥٧٠ خرجت كنيسة الموارنة في مدينة بيروت من ايديهم وجُعل مكانها قيصرية ولم تبقَ لهم الَّا كنيسة مار جرجس خارج المدينة فاجتمع بعض مشايخ بيت حبيش مع مشايخ بيت الدحَّان واتفقوا على ان تشترك طائفة الملكيَّة وطائفة الموارنة في كنيسة مار جرجس التي للموارنة خارج بيروت وفي كنيسة السيدة التي للملكية داخل المدينة

٢) لم يكن شيء يهمّ بطاركة الموارنة مثل تعليم الاكليروس وتهذيبه بالعلوم ولهذا قرروا تعليم اللغة اللاتينية لكونها حاوية كل العلوم الالهية والطبيعية. فان البطريرك شمعون الحدثي لما انفذ رسوله الى البابا لاون العاشر بطلب التثبيت انفذ معهُ شابَّين لتعلُّم اللاتينية غير انهما لم يفوزا بالمرام. ثم ان البطريرك موسى العكاري الذي خلفهُ كتب الى بولس الثالث سائلًا اياهُ ان يأمر رئيس أدبار القدس بان يرسل من رهبانه ستة ليدرّسوا اللاتينية في جبل لبنان غير ان هذا المسعى ذهب ايضًا باطلًا. ولكن ما زال البطاركة يتوسَّلون بكل وسيلة حتَّى تم لهم النجاح اخيرًا في ايام البطريرك سركيس الرزي اذ تنازل البابا غريغوريوس الثالث عشر فانشأ لهم في رومية مدرسة خصوصية دام تدبيرها بيد الآباء اليسوعيين الى أن أُلغيت رهبانيتهم سنة ١٧٧٣ومع صغرها لا يجهل احد كم حصل عنها من النفع

وفي ايَّام هذا البطريرك انعقد سنة ١٥٩٦ مجمع طائفي تجد صورتهُ في الصفحة ٢٨٧ من تاريخ الطائفة المارونية

٣) ان البطريرك المذكور عملًا باوامر رومية نادى بالحساب الغريغوري في طائفتهِ سنة ١٦٠٦ التي فيها احتفل بعيد الرسولين بطرس وبولس قبل جميع الطوائف الشرقية بعشرة أيام ولاجل ذلك أُهمل الحساب اليوناني الذي يزيد ٣١٢ سنة وجرى التمسك بالحساب الميلادي. واشدة

مدة تسعة اشهر ... ثم انهُ في شهر حزيران وقعت القرعة ورضى الرؤساء والشعب على الاسقف يوحنَّا بن مخلوف الاهدني فارسل القس جرجس بن مارون يطلب التثبيت وفي العاشر من شهر اذار سنة ١٦١٠ رجع بهِ من قبل البابا بولس الخامس واستمرَّ في الكرسي اربعًا وعشرين سنة وستة اشهر وخمسة عشر يومًا. ثم انهُ في سنة ٣٣ انتقل الى راحة الصالحين في ١٥ كانون الاول (١

(ستأتي البقية)

طور الظرَّان في فينيقية

لالاب غدفريد زُمُوفن مدرّس الطبيعيَّات في كليَّة القديس يوسف

(تابع لما سبق)

طور الحجر الصقيل

قد بيَّنا سابقًا (راجع صفحة ٩٧ من المجلَّة) ما يختصُّ بطور الظرَّان المنحوت في فينيقية فبقي علينا ان نذكر طور الحجر الصقيل فيها. ولم يكن العلماء قد اتوا بذكر شيء من هذه الآثار بل كانوا يوهمون ايضًا ان هذا الزمن لم يُخلِف شيئًا منها فيجزمون انهُ لا ينبغي البحث عن متروكاته في فينيقية بيد أن العهد المذكور قد أبقى من آثاره ما يمتنع انكاره ويتعذَّر ردُّهُ اعني محطَّاتٍ ومصانع يسَّرت لي معلوماتٍ عديدةً ويقينية عن صناعة البشر قبل التاريخ

ومن الخصائص التي يمتاز بها هذا الطور في فينيقية كما في كل محلٍ آخر ظهور ادوات من الحجر الصقيل مع آنية من الخزف بعيدة من الاتقان وفيها بقايا من الزينات التي سعى اليها الانسان في مبادئ اشتغاله بالصناعة

غيرتهِ على ان تريد طائفته اتحادًا بالكنيسة الرومانية حلَّل اكل اللحم لرؤساء الكهنة واكل السمك وشرب الخمر في صوم الاربعين وابطل جمة نذور وقصَّر قطاعة الرسل وعيد الميلاد لجبل اعياد الرسل بطالة ويدخل قبلها صيامات البيرمون. فما حسن ذلك في عيني البابا بولس الخامس وفي سنة ١٦١٠ امر بنقض كل هذه الامور في رسالة بعث بها الى البطريرك يوحنَّا خلف المذكور ولكن لم يجرِ شيء من ذلك لصعوبة ردّ الناس عمَّا جرت بهِ عادتهم ولا سيما في الامور الواسعة (تاريخ الطائفة المارونية ص ١٨٨)

١) اقام هذا البطريرك مدة في قرية مجدل المعوش حيث بنى كنيسة ودارًا لم تزالا معروفتين للآن

غير انهُ لم يطرأ في الزمن المذكور تغيير مهم على نوعية المعيشة لأن القنائص وانواع الصيد التي كانت أساساً لغذاء ابن آدم في طور الحجر المنحوت ما زالت القبائل التي عاشت في عصر الحجر الصقيل تتخذها طعاماً على شاكلة الذين سلفوها. اما ظباء ما بين النهرين والنُضم الكبيرة التي بقيت منها بقايا كثيرة في محطّات الطور المنحوت فانها قلّت كثيرًا. في محطات الطور الصقيل وهي ستّ: محطة جعيتا وجاجل ورأس الكلب ورأس بيروت ونهر الزهراني والعاملتين

١ محطة جعيتا او نبع نهر الكلب

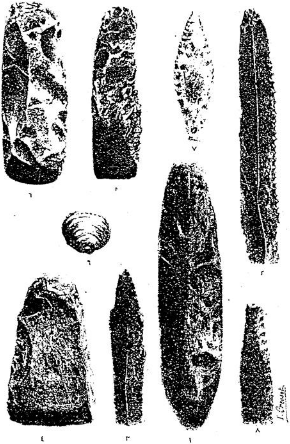
ان مغاور جعيتا واقعة في مضيق عميق ذي مشهد بهيج فمن قصا هذا المضيق يخرج نهر الكلب المعروف عند الاقدمين بنهر ليكوس وعلوّ منبعه عن مساواة البحر سبعون مترًا والمسافة بين مخرجه ومصبّه سبعة كيلومترات

والمغاور المذكورة ثلاثٌ حفرتها يد الطبيعة في مُنحدَر طبقة كلسية من الصنف المعروف بالكينوماني (Cénomanien) والاولى وهي اكثرها اتجاهاً الى الشرق عبارة عن غار عظيم تخرج منهُ ولا سيا في ايام الشتاء كمية من الماء وافرة

وعلى مسافة بعض خُطًى الى الشرق وثمانية الى عشرة امتار فوق مجرى السيل تُشاهد المغارة الثانية بإزاء الاولى وهي عبارة عن دهليز يبلغ طولهُ ستة وخمسين مترًا ويختلف عرضهُ بين مترين وخمسة امتار وكذلك ارتفاعهُ بين مترين وتسعة امتار وينقسم الى عدّة مجازات يتّصل اكثرها ببحيرة ماء رائق يضربُ الى الخضرة قائمة في قصا الغار الاول

وعلى مسافة ١٥٠ مترًا الى ما فوق تشاهد المغارة الثالثة التي يمتاز مدخلها بقِطَع كبيرة من الجنادل وتعلوها الادغال والأجم. وبعد بضعة امتار من مدخلها يتسع تجويفها ويُسمع في الظلمة الحالكة هدير عظيم للماء. والى اليسار دهليز صغير منحوت في الصخر ومنهُ يُنزل الى غرفة ظريفة عالية مزينة بكثير من التحجرات المائية التي اذا أُنيرت بنور المغنيزيوم شوهد لها منظر بديع. وقد احتفر السيل الى شرقي المغارة حوضاً من الماء البارد الصافي

ولا يخفى انّ المهندسين الانكليز الذين كانوا مجرّ قسم من مياه نهر الكلب الى بيروت قد سبروا عام ١٨٧٣ هذه المغارة العجيبة الى عمق ١,٢٠٠ متر



٦
٥
٧
٢
٩
٤
٣
١
٨

اما البقايا السابقة التاريخ فانها تشاهد في ثلاثة مواضع مختلفة غير ان اهم مستودع لها هو المغارة الثانية وهي التي آوت الانسان في عصر الحجر الصقيل دون المغارتين الباقيتين

وقد كان بوتا (سنة ١٨٣٣) اوّل من أتى على ذكر العظام المتحجرة في مدخل هذه المغارة (١. اما المسيو لارته (سنة ١٨٦٤) فيظهر انهُ لم ينتبه اليها ولا الى ما فيها من بقايا العظام بدليل انهُ لم يتكلم عنها ولكن المحل الذي كشفهُ ونقّب فيهِ هو ابعد واعلى من المغارة المذكورة بمسافة ١٤٠ مترًا في منحدر الجبل (٢. وقد جمع المسيو فراس (سنة ١٨٧٥) من مدخلها عظامًا وقطعًا كثيرة من الصوّان (٣. وممن زارها ايضًا عام ١٨٨٠ الدكتور لورته (٤ كبير اساتذة مكتب ليون الطبّي وقد صحبهُ اليها المسيو پيلاغو (٥

وبالقرب من منفذ هذه المغارة الى اليسار وانت داخل مجازٌ يفضي الى المغارة الاولى وكل ما فيهِ من الشقوق والتجاويف مملوء من كُتَل متلبدة متكوّنة من بقايا عظام وآثار الطبخ وادوات الصوان المنحوت وكِسَر من الخزف الذي لا إحكام فيهِ

ولقد نقّبتُ في هذه الكُتَل كل التنقيب وجمعت منها أسنانًا كثيرة من اسنان العُصم والظباء مع كمية وافرة من الصّوان المنحوت في جملتها محاكّ او مقاشط حسنة الصنعة. ثم عمدت الى تربة المغارة فحفرتها على طول ثلاثين مترًا فرأيت الجزء الاعلى منها مؤلفًا من ارض رمادية لينة تمتزج بها حصًى كثيرة مقرّنة واقعة من السقف وشاهدت الجزء السطحي عقيمًا خاليًا من الآثار على عمق عشرة الى خمسة عشر سنتيمترًا. واما الطبقة الواطية فانكشفت فيها على غير ترتيب ادواتٌ صوّانية وقطع من الصوان غير منحوتة وعظام سريعة التفتّت وفحم ورماد ربما كانا من آثار مواقد القوم الاوّلين مع كمية وافرة من الكِسَر الخزفية

ففي هذه الطبقة على عمق ثمانين سنتيمترًا وجدتُ اول اداة من الحجر الصقيل مع منشار حسن للغاية (انظر الشكلين ٢ و٣). اما قعر المغارة فتكوّن من تربة مائلة الى

---

١) Botta, *Observations sur le Liban et l'Antiliban*, p. 14

٢) L. Lartet, *Explor. de la Mer Morte*, III, p. 217-219

٣) Fraas, *Aus dem Orient.*, *II*, p. 118

٤) Lortet, *La Syrie d'Aujourd'hui*, p. 655

٥) Pélagaud, *La préhistoire en Syrie*, Assoç. franc. 1880, p. 851

السواد ولزجة قليلًا ورطبة وحاوية نوعًا من الزبل المترّب متضمنًا نفس الادوات السابقة التاريخ ومن جملة ما وجدت فيه إزميل مصقول من حجر رملي صواني (grès) دقيق جدًّا (انظر الشكل ١)

وعلى بُعد خمسين مترًا الى فوق وفي قاعدة المنحدَر قطع كبيرة متحجرة من شظايا العظام وكسَر الصوّان وهي متكونة فقط من بقايا ما اتُّخذ للطبخ ومماثلة كل المماثلة لاشباهها الموجودة في مدخل المغارة ولا تفترق عنها الّا بكونها أشدّ انضمامًا وصلابةً بسبب تعرُّضها للفواعل الجوّية. وقد ازالها عن مكانها الاصلي بعض الفلاّحين الذين كانوا يأملون ان يجدوا في المغارة كنوزًا من الذهب ومع ذلك لا تزال تُشاهد حتى الآن شظايا من المتحجرات المظيـة التي استمرّت لاصقةً بالصخر

وقد فحصتُ هذه المتحجرات الكلسية فوجدت فيها اسنان الوعول والظباء التي كنت قد وجدتُ مثلها في التربة التي احتفرتها من المغارة وكانت العظام من التكسُّر والتفتت في حالةٍ تنكّرت معها تمامًا. واغلب ما فيها من الصوّان عبارة عن شظايا وقطع لا هندام لها اماَّ الادوات المحكمة الصنع فقليلة

ومن يواصل الصعود متتبعًا المنحدر بميلة قليلة الى اليمين يصل الى سطح طولهُ خمسة وعشرون مترًا في عرض اربعة عشر مترًا وهو واقع في محلّ موثق تحتاطهُ الصخور. فالشمالية منها مرتفعة ومقطوعة عموديًا وكانت اشبه بملجإٍ ففي سفحها يوجد المحل السابق التاريخ الذي كشفهُ وفحصهُ الدوق دي لوين والمسيو لارته سنة ١٨٦٤ وهو يتركب من فحم ورماد وعظام متكسرة وفي الغالب مُحرقة متكلّسة وصوّان منحوت وتبلغ ثخانتهُ نحو مترٍ ولم اجد فيه من الحجر الصقيل بل فقط بعض كِسر من الخزف

وحتى الآن كانت هذه الآثار السابقة التاريخ تنسب الى طور الحجر المنحوت ولكن الحقيقة بخلاف ذلك اذ لا يظهر ان الانسان أوى الى هذه المغارة في هذا الطور الاقدم وكفى اثباتًا لذلك وجود فاس مصقولة في اساس المستودع السابق التاريخ...

واكثر ما يوجد في هذه المغارة من العظام الأسنان والسُلامَيات والأرساغ. ويظهر ان هذه البقايا قد كانت تختص بحيوانات فتيَّة فان الاسنان لم يعرض لها تلَف يُذكر وما زالت اسنان الحليب تشاهد في الفكوك بل قد يُشاهد فيها ايضًا نوعان من الاسنان كأنَّ الحيوان قُتل في زمن التسنين الثاني. ولعلَّ الصائدَ في الزمن السابق التاريخ كان اسهل

عليه ان يمثل القنانص الفتية من القنانص الكبيرة التي تفرّ منهُ او تقوى اكثر من سواها على احتمال ألم الجراح . اما الحيوانات التي وجدنا عظامها فهي التي مرّ ذكرها في محطّة نهر الجوز ومعها عظام بعض الطيور واصداف بحريّة

وكل الادوات التي وجدتها في هذه المحطّة تنحصر في الانواع الآتية اي فؤوس صقيلة وأزاميل مخروطة وصقيلة ومناشير ومثاقب ومقاشط ومحاوز مع كثير من الشظار او النصول البعيدة عن الإحكام . وقد وجدت مع هذه الادوات نوعاً من الصدف (pétoncle) مثقوباً بثقب للتعليق ولم اعثر ابداً على عظم مشغول

امّا كِسَر الفخّار فكثيرة في هذه المحطّة ويظهر من أمرها أنها مصنوعة باليد فان آثار الاصابع لم تزل مرتسمة عليها للآن . وكثير منها مطلي من خارج بطلاء جُلّ القصد منهُ منع ترشّح السائل اكثر من ترويق الوعاء

ثم ان الفخّار المذكور غير معجون عجناً جيداً فضلاً عن انهُ خشن جداً ومخلوط بكثير من الحصباء التي جُمعت من مجرى النهر وكثيراً ما تضاف اليه قطع من أوكسيد الحديد وهو سيئ الشيّ فان سطحهُ الخارجي قد عُرِض للنار تحت الفلاء والداخلي تصلّب فقط من قوّة الحرارة وعجين الجزء الوسط منهُ قد بقي اسود او ضارباً الى السمرة

والعرى قليلة وبعضها مستدير نصف استدارة والبعض الآخر مثلّث الزوايا وكلها مثقوبة الّا ان فتحتها ضيّقة جداً لا يكاد طرف الأنملة يدخل فيها ولبعضها حواشٍ غليظة ولغيرها حواشٍ مستقيمة ورقيقة وكل ما فيها من الزينة عبارة عن خطوط محزورة

٢ محطّة حراجل

انّ حراجل مزرعةٌ صغيرة في منتصف الطريق بين ميروبا وفاريًا لا تبعد كثيراً عن نبعَي نهر اللبن ونهر العسل المتجرّين في لحف جبل ستين . واما موقع المغارة فجنوبي شرقيّ المزرعة بقرب ضفّة نهر الصليب طولها مائة وستّون متراً في عرض متر الى ثمانية امتار لم يقف العلماء على وجودها قبل خمس وعشرين سنة

ومدخل المغارة بين دائرة من الصخور تكتنف بفضاء من الارض منخفض مستطيل الشكل كأنهُ حظيرة ولم يكُ سابقاً مزروعاً وفيه اليوم غروس من شجر التوت . وكان يحجب هذا المنفذ ارضٌ كثيفة حاول بعض الفلاحين ترعها لبسطحها في حقلهِ فكشف بذلك وجه المغارة . ومما وجد في المدخل آنيةٌ وعظامٌ مبثوثة في الارض . فجمع الشيخ داود الخازن

شيئًا من العظام واهداها لمسيو ڤيبر قنصل المانية العام في بيروت فارسلها القنصل الى متحف الجمعيَّة الانتروبولوجيَّة في برلين وهي الآن محفوظة هناك (١

فمَولج المغارة ضيّق سافل . واذا سرت في داخلها مسافة ثمانية امتار وجدت صخرها ملتويًا على شكل زاوية ففي هذه الزاوية هي طبقة العظام القديمة يعلوها سطحٌ من الطين الاسود ساق بهِ الى المغارة حديثًا جدول ماء يجريهِ الفلاّحون اليها اذا نالوا حاجتهم منهُ للسقاية . وارتفاع هذا السطح الحديث ستُّون سنتيمترًا وتحتهُ الطبقة التي نحن بصددها وهي تتألف من طين خزفيّ ضارب الى السواد كثير الرطوبة متوحّل . فبين خلال هذا الطين توجد العظام وهي سريعة الانكسار لرطوبة المكان . وكثير منها يحوط بها شيءٌ من كلس الماء المتحلّب من المغارة . وعلى وجه الاجمال لا ترى عظام هذه المغارة كما في غيرها مكسَّرة منعَّمة وان لم تكن تامَّة كاملة . فاني وجدت معظم رأس خنزير بريّ الّا انَّ قسمهُ الاكبر يلصق بهِ طلاء كلس الماء المتحلّب . وفي عمق مترٍ قد اثرتُ من الارض جمجمة بقرة وحشيَّة . ومن غريب امرها نتوء مؤخر الراس فيها وقد كسرت اسنانهُ قرب العظم ولم يبقَ للفكّ الاسفل من اثر

وممَّا وُجد ايضًا في هذه المغارة من عظام الحيوانات الدبُّ والسنُّور والكركدن والخنزير البرّي والفرس والبقر الوحشي والأيل

وكان مع العظام شقفٌ خزفيَّة لكنَّا لم نجد بينها صوَّانًا مصنوعًا . وكان بقي علينا ان نتحقَّق لعلهُ يوجد بعض آثار لأدوات حجريَّة أمام المغارة او بمكان مجاور لها . فاسعدني الحظ على وجود مصنعٍ للآلات اكتشفتُ فيهِ رؤوسًا مسنَّنة ومحاكًا ومطارق وفؤسًا حسنةً مهيَّأة للصقل . واكبر جانب هذا المصنع يغطّيهِ سطح التراب المار ذكرهُ

امَّا بقايا الخزف فهي اقلّ عددًا من بقايا محطَّة جعيتا وليست هي ايضًا مختلفة التركيب . وقسمٌ كبيرٌ منها مصنوعٌ بترابٍ اسود مختلط بحبوب غليظة من الرمل ثمَّ يُيبَّست في الشمس دون ان تُعرض على النار فهي لذلك سريعة العطَب والتفتُّت يتشقَّق وجهها ويتصدَّع . ويوجد منها ما أُحمي في النار احد جانبيهِ او الجانبان معًا ولبُّها اسود قليل التصلُّب . وفي الوجه الثاني منها خطوط ذات خُدَد لا شكل لها

Zeitschrift für Ethnologie, 1875, p. 25; 1878, p. 157. (١

٣ محطّة رأس الكلب

موقع هذه المحطّة في الرأس المجاور لمصبّ نهر الكلب بقرب ما هناك من الآثر الكتابيّة للاشوريين والمصريين وهي مركّبة من مجاميع رُكَمٍ عظاميّة متلبدة منتشرة في مسافة كبيرة. واوّل من اكتشفها المسيو ترِسترام(١ سنة ١٨٦٣ ودقّق فيها البحث المسيو دَوْسُن(٢ في عام ١٨٨٤ ولم ينوّه احد منهما بآثار الحجر المصقول

فالمجموع الاوّل من هذه الرُّكَم السابقة التاريخ هو على الطريقة الرومانيّة في قعر بين الصخور. فهذا التجويف شبيه بمغارةٍ قديمة سقط منها سقفها وبقيت جدرانها. ولذلك قد اعدّ العالمان الانكليزيّان المذكوران آنفًا هذه الركم كبقايا طبقة مغارة قديمة. ولعلّهُ اقرب الى الصواب اذا اعتبرنا هذا المقام كمأوًى تحت الصخور

وطول مستودع الظرّان القديم خمسة عشر مترًا في عرض ثمانية الى عشرة امتار. وهو يشتمل على بقايا المآكل ونفاية الصناعة. والعظام مكسَّرة وبعضها قد سوّدتهُ النار. واسنان الحيوانات باقيةٌ في حالتها سالمة تخصُّ البقر والآيال والمعز

امَّا ادوات الصوّان التي نُحِتت اطرافُها نحتًا مضاعفًا فنادرة بينما ترى كثيرًا من الشَّفرات والقِطَع المحدّدة. هذا وانّنا وجدنا بعض كِسَر من ادوات تلفت بالاستعمال وكانت جوانبها نُحِتت نحتًا ثانيًا ادقّ

وهذه الركم العظاميّة قد تحجّرت تمامًا وتصلّبت بحيث تحسبها صخرةً صمَّاء. فيها شظايا عظامٍ واسنان ورؤوس مسنّنة من الصوّان. والرومانيُّون قد نحتوا طريقهم في وسط هذه الصخور ولك ان ترى على حافة الطريق قِدَرًا من هذه الحجارة وُضعت لصيانة جوانبهِ. وربما شاهدت على وجه القِدَر اسنانًا ثابتة لنوع من البقر الجسيم لا تستخرجها الَّا بكسرها. ومن هذه الدلائل يتّضح انّهُ مرّ قرون كثيرة بين زمن القبائل التي تركت هناك بقايا اطعمتها وزمن الرومانيين الذين وثّوا هذه السابلة

واذا سرت نحو مائتي مترٍ الى جهة الجنوب بقرب الطريق نفسها وجدت وهدةً ثانية على شبه كوٍّ تسترهُ الصخور. ففي داخل هذا الكوّ قطعة كبيرة من هذه البقايا المتحجرة

(١ TRISTRAM, *The land of Israel*, p. 10

(٢ DAWSON, *Notes on prehistoric Man in Egypt and the Libanon*, p. 6.

وقد ذهب قسمٌ منها. وهذا الاثر اغنى من السابق وليست صلابتهُ كصلابتهِ. والمادة الكلسيّة التي تجمع بين اقسامهِ ضاربة الى الحمرة

وطول الآثار القديمة هناك ثانية امتار في عرض اربعة امتار الى خمسة والعظام المستطيلة في هذا المستودع قد كُسرت وشُقِّقت. وقد استُخرجتْ منها اسنان دِبَبٍ وخنازير برّيّة وخيل وبقر وحشيّ وظباء وأيائل. والظرّان هنا اوفر منهُ في الامكنة المذكورة آنفًا وهي غير محكمة الصنع. اكثرها شفرات واطراف مسنّنة. وقد اكتُشفتْ في وسط هذه البقايا فأسًا منحوتةً من الرمل الغليظ المكلّس اتُّخذت للصقل

وفي مسافة مائة متر الى الجنوب في لحف جدار من الصخور غير مرتفع يوجد قِطعٌ كثيرة من الحجارة المركّبة من هذه البقايا. وقد استُخلصتْ منها كسرًا من اسنان الكركدنّ المعروف عند العلماء باسم (Rhinoceros tichorhinus) ومن رَباعيات بعض كواسر السباع لعلّهُ الضَّيْوَن المدعوّ (Felis spelaca) ومن نواجذ بقرة عظيمة الجسم. وبين هذه العظام وجدت قطعة متطرّ من الصوّان محكم الشغل أُتقن صقلهُ وسنّهُ

واذا صعدت الى رأس الكلب ترى سطحًا واسعًا بعض انحدار غير متساوٍ فيهِ عدد وافر من قِطَع الصخور المحدّدة بينها جالات لزرع القمح. فكلُّ هذا السطح مملوء من اجناس الصوّان المشغول الّا انّها اضحت كِسَرًا ناعمة. وهي بقايا فؤوس مصقولة وخناجر وشفرات. وليس في ما صار اليهِ الظرّان من التكسُّر ما يقضي العجبَ لانّ في هذا البوغاص مرّت كل جنود الشعوب القديمة وملوكهم الذين ترادفوا واستولوا على هذه البلاد ووطئوا بالارجل قديمَ آثارها

والحيوانات التي حصلنا على اسنانها فهي التي وجدناها في محطّة نهر الجوز امّا العظام خلاف الاسنان فلا يمكن تعيينها لدقّتها. وبين الاسنان المذكورة تغلب اضراس نوع من جسيم البقر ولا ريب في انّهُ كان كثيرًا في هذه الانحاء لمّا كانت الغابات تظلّل جبل لبنان فباد بعد ذلك بزمن طويل. وفي ظنّنا ان هذا البقر هو الرئم الذي تكرّر ذكرهُ في الكتاب المقدّس. وجاء في الكتابات الاشوريّة لتغلات فلاسّر الاوّل ملك بابل انّهُ اصطاد الرئم في لحف لبنان واجلب عددًا منهُ من الشام

امّا الكركدنّ الذي سبق ذكرهُ فكان وجد عظامهُ هنا العالمان فراس (١

(١ Fraas, *Aus dem Orient*, II Theil, p. ١١٥

ودَوْسُن(١ وفحصها المسيو دَوكِنْس فحصاً مدقّقاً. وزعم المسيو ترِسْترام(٢ انهُ وجد في هذا المكان آثارًا لحيوانين آخرين هما الرين (renne) والإيلان (élan) غير انّي بعد البحث والتنقيب لم اجد ما ينبئ على وجود هذين الحيوانين القاطنين عادةً الاقطار الشمالية

وبين الادوات التي جمعتُها من وجه الارض او استخلصتها من قِدَر العظام المتلبّدة فؤوس كثيرة اطرافُ بعضها مستدير وبعضها مستقيم (انظر الشكلين ٤ و ٥). وغيرها خشبية لم يُتقن عملها بل نُحت نحتاً غليظاً وليس فيها اثر للصقل الّا انها لم يتمّ عملها. ولكنّها جميعها قد صُقل طرفها وباقيها منحوت وربّما وجد بينها فؤوس مصقولة صغيرة جداً

وبقرب الفؤوس رأيت مقاطعَ ذات حروف مستديرة محكمة ورؤوس سهام نُحتت نحتاً مضاعفاً ادقّ لا قبضة لها ولا جوانب. ومنها ايضاً مخارز ومناشير وشفرات وسكك. وتدلُّ المقاطع العديدة وامّهات الحجارة والقطع المتكسّرة ان هذه المحطّة كانت مصنعاً للآلات المذكورة وفيها تصقل. ووجدت من بين هذه الادوات اصدافاً ثقبتها ايدي البشر

٤ محطّة رأس بيروت

قد أُطلقَ بهذا العنوان الاسمُ على مجموع من طبقات الظرّان المصنوع التي موقعها في الرمل الممتدّ بجنوبيّ غربيّ مدينة بيروت على ساحل البحر من ذروة رأس بيروت الى طرف الرُّبى الرمليّة التي في جنوب البلدة. والرمل هناك ناعم محمرّ سريع الانتشار يرمي به البحر على الشاطئ فتنسفهُ الرياح الى جهة الشمال الشرقي. وفي عدّة مواضع تحتوي هذه الرمال شقفاً خزفيّة وقطع رخام ابيض مختلطة بنُفاية البلدة او المساكن المجاورة

وتحت هذه الرمال طبقةٌ اخرى اقدم عهداً تتركّب ايضاً من الرمل الناعم الّا انّ حمرتهُ مشبعةٌ وهو راصّ بعضهِ غير متلبّد عمقهُ من متر الى اربعة امتار. وفي هذه الطبقة السُّفلى يوجد عددٌ لا يُحصى من الظرّان فيثير منها الريح قسماً ويكشفهُ للعيان. وهذا الصوّان تراهُ ممزوجاً بكل اصناف الخزف والزجاج المتكسّر وقطع الرخام المختلف الجنس

(١ Dawson, *op. cit.*, Appendice, p. 14.

(٢ Tristram, *op. cit.*, p. 11.

واذا اقصيتَ الحفر في هذه الرمال بلغت الى صخور نخِرة تتألف من الرمل الحمر الملتدق ببعضه الشديد الصلابة ومنهُ تؤخذ في بيروت حجارة البنايات

واوّل من دلّ على الظرّان المصنوع في رمال بيروت موسيو شستر ثم تحرّى المسيو دَوْسُن فحصهُ في سنة ١٨٨٤ . وهذه الآثار منبثة في مسافة عشرة كيلومترات طولًا في كيلومتر او كيلومترين عرضًا

وليست الظرّان في طول امتداد هذه المسافة البعيدة لكنها متراكمة في بعض الامكنة وقد تمكّنتُ من احصاء خمسة عشر موضعًا اجتمعت فيها هذه القطع الصوّانية. واظنّها كانها اقسامًا لمصنع كبير من طور الصوّان المصقول قد غطّت معظمهُ الرمالُ الحديثة تُذرّيه الرياح وتكشف تارةً قسمًا من هذا المصنع وتارةً تحجبهُ عن العيان . . .

وفي محلاتٍ شتّى جمعتُ عدّةَ فؤوس مثلثة الزوايا وهي ارقّ واطول منها في محطّة رأس الكلب. وبعضها منحوت وغيرها قد صُقل فقط طرفها وبقي في سائرها آثار حروف منحوتة. وزد على ذلك اني وجدتُ عددًا وافرًا من المطـارق تدلّ على كثرة استعمال اصحابها لها وأمّهات حجارةٍ وسِنّ رماحٍ محكمة العمل قد تُني فيها النحتُ لتحسينها واطرافَ سهامٍ على احكم هندام ومناشير صغيرة ذات اسنان دقيقة ومقاطٌ ومصاقلَ وقطعًا لا يحصى عديدها

وهذه الظرّان تنبئ على قدم العهد. وهي بيضاء تضربُ الى الشقرة وما كان منها على وجه الارض تراهُ يبرقُ لاحتكاكهِ برمل الساحل. امّا اصلهـا فمن رأس بيروت حيث الصوّان الطبيعي كثير حسنٌ. وقد وجدتُ في جملة هذا الصوّان ضِرسين من نواجذ بقرة وحشيّة عظيمة الجسم وصدفةً ثقبت بيد الانسان لتُعلّق

واذا فحصتَ البقايا الخزفيّة المختلطة بالظرّان وجدتَ انها من آثار قرونٍ شتّى فمنها ما كان عريقًا بالقدم كالخزف الذي جمعتهُ في محطّتَي جميتا وحراجل وهي سيئة الشيّ بالنار قد احمرّ فقط وجهها امّا طبقتها الوسطى فضاربة الى السُمرة. وفي معجونها حبوبٌ غليظةٌ تصدر عن حجرٍ اسود متبلور ومنها اصنافٌ لا تحصى معجونُها من مادّة لطيفة وهي حسنة الطبخ وبعضها احمر وبعضها اسود ومنها منقوشة وغيرها مطليّة والبعض منها مبرمة يصحّ نسبتها الى ازمنةٍ متباينة. وبينها بقايا من خزف ايامنا في الشام

ويوجد ايضًا كِسَر من الزجاج يرتقي عهدها الى الفينيقيين بين قطع أخرى حديثة

العهد. وترى في جملتها حطاماً من رُخام ايطاليا الابيض ومن الرخام الاخضر والاحمر المجزّع. وهناك وجدتُ سواراً من الشبّه او النحاس

واني استنتج من اختلاط هذه بقايا القرون المختلفة والشعوب الشتّى ومن وجود الصوّان في الطبقات السُّفلى انّ الظرّان اقدم عهداً وانّ اصلهُ يرتقي الى زمان قبائل كانت ادواتها من الصوّان المصقول ثمّ بطول الزمان اختلطت باعمال الصنائع الحديثة. وذلك انّ هذه الادوات الجديدة قد القيت على الرمل فلمّا تثير الرياح هذا الرمل تبقى هذه النفايات في محلها ثمّ تمتزج بالصوّان القديم الذي تحتها وكان المسيو دَوْسُن لاحظ ان طبقة الرمال الحمراء التي فيها المستودع السابق التاريخ قد انقلبت وتبعثرت

٥ مصنع نهر الزهرانيّ

موقع هذا المصنع يبعد ساعة عن صيداء بقرب نهر الزهرانيّ في الحقول الممتدّة من شاطئ البحر الى لحف جبل لبنان. فانّ وجه الارض هناك مُغطّى على طول الف وخمسمائة متر في عرض اربعمائة متر بحطام عدد لا يحصى من الظرّان واذا خرجت من هذه المسافة لم تجد لها اثرًا. وترى هناك امّهات الحجارة منها من صوّان الكوارتز الكلسيّ طولها عشرة سنتيمترات الى عشرين سنتيمترًا في مثلها عرضاً ومنها من صوّان الايوسين (éocène) المتكون من عدد وافر من الاصداف الناعمة. ومنها ايضاً مقاطع ومواشير وفؤوس مخروطة صُقلت اطرافها فقط وقد تثلّمت بالاستعمال او عرَضاً. ومنها مقاطٌ وسنّ ومحاكّ ومقاشط ومصاقل وقطع كثيرة غليظة لا شكل لها

والادوات مترسّطة في الكبر لها شكل غليظ مُصمت. وقسمٌ منها على حالها الاصلي وقسم يعلوهُ حُمرة الصدإ لما تأتّيه طبقة ارض حمراء. وعلى اكثرها خطوط صَدِئة لعلها ناتجة عن سكّة الفلاحة او غيرها من ادوات الزراعة... وكان مع الظرّان بعض قطع خزفيّة أُسيء عجنُها وطبخها في وسطها حبوب غليظة من الحجارة الكلسيّة

٦ محطّة المالمتين

هذه المحطة قرب المالمتين على الطريق المؤدية من جونية الى جبيل قد ذكرها بعض السيّاح ولم تُفحص بعد فحصاً مدقّقاً (تمّ)

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما سبق)

٥

فما كاد ابن العبريّ يتبوأ منصبهُ هذا الجديد حتّى جعل يفرغ اقصى ما لديهِ من الهمّة لاصلاح امور رعيّتهِ. على انّهُ لم يستقرّ بجوباس زمنًا طويلًا ليحصد ما زرعهُ في القلوب من البذر الجيّد فلمّا كانت السنة التالية (١٢٤٧) تقدّم اهرون اسقف لاقابين الاستعفاء من كرسيه وانتقل الى بيت المقدس ليقضي فيهِ باقي حياتهِ في الخلوة واعمال النسك فوجّه البطريرك اغناطيوس سابا نظرهُ الى ابن العبري ليقيمهُ خلفًا للاسقف المتنازل

فلبّى ابن العبري الى دعائهِ واستوطن لاقابين وهي بلدة تجاور جوباس وصرف همّتهُ الى خير هذه الحظيرة الجديدة فادار شؤونها بغيرة ونشاط مواصلًا السعي فيما يعود على ابناء ابرشيتهِ بالمنافع العميمة. وكانت مدّة جلوسهِ على كرسي لاقابين خمس سنوات بالغ بالجدّ وراء مصالح رعيّتهِ

وفي تلك الاثناء مات البطريرك اغناطيوس ولي نعم ابن العبري (سنة ١٢٥١) فحدث بعد وفاتهِ شغب وشقاق في الملّة اليعقوبية وانقسم القوم الى حزبين اختار احدهما بصفة بطريرك ديونيسيوس (اهرون عنجور) اسقف ملطية وتعصّب الآخر للمفريان يوحنا ابن المدني ولهُ قرّ الفرنج في انطاكية. وكان ابن العبري منتصرًا لديونيسيوس على ابن المدني ولم يزل يعضد امرهُ ويؤيد سلطانهُ الى ان قُتل ديونيسيوس في شباط من سنة ١٢٦١ قتلهُ في الكنيسة بعض انصار خصمهِ فصار الامر كلّهُ لابن المدنيّ وعاد السلام للملّة بعد استتباب الفتنة (١

١) راجع تفاصيل هذا الشقاق في تاريخ الكنيسة لابن العبري الجزء الاول (ص ٦٩٥ – ٧٤٨) ويظهر من معرض كلامهِ انّ ديونيسيوس عنجور كان يطمح بالبصر الى المرتبة البطريركيّة وانّ انتخابهُ لم يكن مطابقًا للقوانين البيعيّة. ولا غرو انّ ابن العبري انحاز اليهِ لانّهُ كان سابقًا اسقف وطنهِ ملاطية محسنًا اليهِ والى والدهِ اهرون

وكان ديونيسيوس مكافأةً لما اظهرهُ لهُ ابن العبري من الوداد وقدَّمهُ من الخِدَم رقّاهُ الى اسقفية حلب. وكان كرسي حلب قد خلا في سنة ١٢٥٣ بارتقاء صاحبهِ باسيل (صليبا) بن يعقوب وجيه الى رتبة مَفريان باسم اغناطيوس. فأدهُ اياها ابن المعدني فعيَّن لهُ خلفًا في حلب متَّى الجرميّ . لكنَّ ديونيسيوس قرن ابن المعدني ارسل ابن العبريّ ليزاحم متَّى المذكور في منصبهِ فصار اسقفان لكرسي واحد

وسمع المفريان اغناطيوس (صليبا بن يعقوب وجيه) بما فعل ديونيسيوس وكان هو متشيّعًا لابن المعدني فقدِم حلب واخذ يعاكس ابن العبري قرينهُ السابق في الدروس الطبيَّة والفلسفيّة واعتضد عليهِ بالملك الناصر صاحب حلب فاضطرَّ ابو الفرج ان ينقطع عن الامور ويختلي في بيت ابيهِ وكان ابوهُ يسكن حينئذٍ حلب. ثمَّ عاد ابو الفرج الى ملطية وترل عند البطرك ديونيسيوس في دير برصوما

وبعد هذه الامور بسنة سافر ابن العبري الى السلطان في دمشق يطلب منهُ براءة لديونيسيوس عجور مع حمايتهِ على المفريان فاكرم الملك الناصر وفادتهُ وسلّط ديونيسيوس على يعاقبة المشرق كما كان عزّ الدين صاحب الروم سلّطهُ قبلًا على المغرب وكتب الى صاحب حلب ليأخذ بساعد ابن العبريّ ففعل وسلّمهُ كنيسة اليعاقبة واستبدّ الاسقف برعاية ملتهِ فيها. فخرج المفريان اغناطيوس من حلب مغضبًا ومرَّ الى الفرنج وسكن طرابلس متعاطيًا فنّ الطبّ الى وفاتهِ سنة ١٢٥٨. قال ابن العبريّ في حقّهِ « انهُ كان متقنًا للطبّ عارفًا بعلوم القدماء لاسيَّما الفلسفة واحتفل بجنازتهِ قومٌ كثير من رهبان الفرنج وكهنتهم وكان كتب لكنائسهم واديرتهم بقسم من مالهِ (١) » وبقي كرسيّ المفريانية خاليًا بموتهِ ست سنين

ولما اجتمع شتات الملّة بعد وفاة ديونيسيوس كما سبق ادّى ابن العبري فروض الطاعة الى يوحنَّا بن المعدني وحظي عندهُ حتَّى انهُ فكَّر في ترقيتهِ الى منصب المفريان واجهر بذلك فحال الموتُ دون تتميم رغبتهِ. وكانت وفاة ابن المعدني في سنة ١٢٦٣

ولابن المعدنيّ تآليف حسنة بالسريانية والعربية منها كتاب نافور وديوان شعر بالسريانيّة وثماني عشرة خطبة بالعربيّة وكلُّها محفوظة في خزائن الكتب الشرقيّة باوربَّة لاسيَّما مكتبة الفاتيكان. ولهُ ايضًا مقالة بالعربيّة في التعزية مصونة في مكتبة اكسفرد.

(١ Barhebræi *Chronicon Eccl.*, III, 427

وكان اصله من معدن وتولّى اسقفيّة ماردين (١

ومما حدث لابي فرج في مدة اقامته على كرسي حلب ما اخبر به عن دخول المغول في هذه المدينة سنة ١٢٥٨. وكان هولاغو قائدهم فتح بغداد عنوةً وقتل الخليفة المستعصم بالله وازال الدولة العبّاسيّة ثم تقدّم الى جهات الغرب مع جيوشهِ الظافرة وهو ينهب في طريقهِ ويحرق ويسبي الى ان وصل حلب فخرج ابن العبريّ اليهِ يستعطفهُ لاهل ملّتهِ ولكنّ شفاعتهُ لم تجدِهم نفعًا لانّ الجند كانوا فتحوا البلد وانتشروا في كل انحائهِ واعملوا السيف في السكّان. وجاء في تاريخ الدول (ص ٤٨٧) أنهُ قُتل في حلب اكثر مما قُتل في بغداد

٦

واجتمع اساقفة اليعاقبة بعد وفاة ابن المدني ليختاروا لهم بطريركًا وكان اجتماعهم في دير الجويقات قرب المصّيصة من اعمال قيليقية فاقاموا باتّفاق الاصوات يشوع رئيس دير الجويقات المذكور فساموهُ في سادس كانون الثاني من سنة ١٢٧٤ وتلقّب باسم اغناطيوس الثالث ثمّ اهتمّ البطريرك الجديد مع الاساقفة المنتخبين بنصب مفريانٍ على المشرق يخلف لاغناطيوس بن يعقوب وجيه المار ذكرهُ فوقع الاختيار على ابي الفرج بن العبري وكان مرشّحًا لهذه المرتبة منذ زمن طويل كما سبق

ولم يتولَّ غريغوريوس ابو الفرج منصبهُ الجديد الّا بعد ذلك بايّام وكان البطريرك والاساقفة شخصوا الى سيس لتقدمة مراسيم الخضوع لهَيثوم (حاتم) ملك قيليقية فصار هناك حفلة عظيمة حضرها الملك واولادهُ واعيان دولتهِ مع رؤساء اكليروس الارمن وجمّ غفير من الشعب تقلّدِ ابنُ العبري رتبةَ المفريان بابّهة وشرف لا مثيل لها في ١٩ كانون الثاني. وتسنّم المفريان المختار منبرَ الخطابة والقى امام جمهور الحضور خطبة نفيسة عن رئاسة الكهنوت افتتحها بقولهِ تعالى في المزامير (١٣٨:٥): «انت يا ربُّ قد احطتَ بي وجعلتَ عليَّ يدك». وكان ذلك اليوم نهارًا مشهودًا (٢

ولعلّ القرّاء يفكّرون في ما عسى تكون هذه الرتبة الغير الشائعة في بلادنا فيسألون

---

١) Wright, *Syirac literature*, 263-265 — Ibid. II, 707-743

٢) راجع تاريخ الكنيسة لابن العبري الجزء الثاني (ص ٧٥٠ – ٧٥٢)

عن معنى كلمة المفريان وعمَّا تخوِّلهُ هذه المرتبة اصاحبها من السلطة. فاعلم ان المفريان لفظة سريانية اصلها من فعل فرا (ܦܪܐ) اي نمَا وأتى بثمر. فيكون وزن فعَّل منهُ فري (ܦܪܝ) اي أثمر وأولد. واسم الفاعل مَفريانا (ܡܦܪܝܢܐ) وهو المُولِّد والمُثمر. فلمَّا انتشرت الشيعة اليعقوبية في أنحاء المشرق وكان بطاركتهم بعد ساويروس اتخذوا كرسيّهم انطاكية رأوا انَّهُ لا بُدَّ للبطاركة من نائبٍ يقوم في بلاد العراق وبابل ونواحي ما بين النهرين الشرقيَّة بامور ملّتهم ويدافع عن حقوقهم في وجه النساطرة عند ملوك العجم فوضعوا رتبة المفريان يريدون بذلك انَّ صاحبها يثمر للكنيسة ليس ابناء فقط كسائر الاساقفة بل آباء روحيين ورؤساء . وكان اوَّل ما وضعت هذه الرتبة في القرن السادس في ايَّام يستنيان الملك وهي لم تزل شائعة عند اليعاقبة الى يومنا ومن جملتهم كان في سنة ١٨٢٨ البطريرك انطون سمحيري الطيِّب الذكر قبل رجوعهِ الى الكثلكة

وكان الاساقفة ورؤساء الاساقفة تحت رئاسة المفريان لهُ عليهم ملء السلطان كما للبطرك على اساقفتهِ. وربَّما دُعي عند بعض كتبة اليعاقبة والنساطرة باسم الجاثليق اي الاسقف العام فتكون هذه الرتبة بمقام كبير رؤساء الاساقفة (Primat) وكان بين المفريان وبطريركهِ علاقة كبيرة يخضع ذاك لهذا في الامور العمومية الآيلة لخير الملَّة جمعاء. وكان البطريرك لا يُختار الَّا برضى المفريان ويُختار المفريان برضى البطريرك. امَّا مقام المفريان فكان في تكريت على ضفَّة دجلة في وسط الطريق بين الموصل وبغداد وكانت هذه المدينة سابقًا عامرةً حافلة بالنصارى وهي اليوم صغيرة لا يتجاوز عدد سكَّانها ستة آلاف نسمة وهم مسلمون اجتمعنا بهم في اثناء سفرنا الى بغداد ونحن راكبون الطوف من الموصل فأنبأونا انَّ النصرانيَّة كانت شائعةً بينهم قبل قرنين وانَّهُ لا تزال آثار الكنائس باقيةً في بلدهم. ولا بدع انَّ كنيسة المفارين كانت من اعظمها وأتقنها

وكان اوَّل ما سعى بهِ ابن العبري بعد ارتقائهِ الى رتبة المفريان ان يوطّد سلطة البطريرك اغناطيوس الثالث ويمنع الانشقاق في الملَّة. وذلك ان بعض اهل الفتن ادَّعوا بانَّ انتخاب البطريرك والمفريان لم يكن شرعيًّا فغرُّوا بعض الاساقفة وجمعوهم ليختاروا لهم بطريركًا آخر ومفريانًا غير ابن العبري ورحلوا الى مدينة أرزنجان من حواضر الارمن حيث كان حلَّ هولاغو قائد المغول. وكان جلَّ ما يبتغون ان يستميلوهُ الى عصبتهم وينالوا منهُ كتابًا يقرُّ لهم بالرئاسة. فخاف اغناطيوس انَّ يتَّسع الخرق ويتفاقم الصدع فسيَّر ابنَ العبري

الى عظيم المغول ليطلعهُ على حقيقة الامر وينفي شماتة اعداء الخصوم ويمهّد له الطريق للدخول على هولاغو. فاسرع السفير لقضاء هذه المهمّة ولم يزل يُوصل السير بالسُّرى حتى بلغ ارزنجان

وكان في غضون سفره يستعين بما عندهُ من المعارف الطبيّة ليدخل على الولاة وينال الحظوى لدى عمّال هولاغو ووصاة للامتثال بين يديهِ فاتت مساعيهِ بالمرام. فان هولاغو استقبلهُ بمزيد الاكرام وابدى لهُ غاية التجلّة وامر عمّالهُ بان يتلقّوا البطريرك القادم بغاية الحفاوة ويترحّبوا بهِ ويكرموا مورده في طريقه. ولمّا وصل البطريرك ادخله القربان الى هولاغو فسُرَّ بهِ واناله براءة تثبت حقوقهُ وشفعها بكتاب آخر اثنى بهِ على القربان واطنب في محامدهِ. وفي السنة التالية توفّي هولاغو وملك عوضهُ ابنهُ أباقا فاحسن المعاملة الى البطريرك اغناطيوس والى ابن العبري جريًا على طريقة ابيهِ

وبعد مواجهة هولاغو بايام قلائل رجع البطريرك الى طور عابدين ثمَّ الى ملطية فسكن دير برصوما كاسلافهِ(١) امّا ابن العبري فانهُ توجه الى تكريت ليستلم كرسيَّهُ فكان لهُ فيها استقبال حسن من اهل ملّتهِ ومن غيرهم احتشدوا للقائهِ وسُرُّوا بقدومهِ ايَّ سرور. وما كان ابن العبري ليخيّب آمال رعيّتهِ فيهِ. والحقُّ يقال انهُ نهض باعباء مقامهِ السامي نيّفًا وعشرين سنة باذلًا ما لا مزيد عليهِ من علوّ الهمّة والنشاط صارفًا عنايتهُ الى اصلاح شؤون ملّتهِ المادّية والادبيّة

٧

وكان اوّل ما فكّر فيهِ تفقّد ابرشيّتهِ الواسعة فزار اوّلًا الموصل وكانت الجموع تحتفّ لاستقبالهِ في كل بلدة يجتازها يتقدّمهم الكهنة والذوات وكلّهم يتسابقون لاظهار عواطف الولاء والابتهاج بقدومهِ. ولمّا انتهى الى الموصل تقاطر الشعب لملاقاتهِ وضجَّ عند دخولهِ باصوات الفرح بينما كانت الكهنة ترنّم بالاناشيد الروحية. وما لبث فيها الّا ريثما استراح وتلقّى وفود السلام ثم صعد الى دير مار متّي ليزور رهبانهُ ورقّى فيهِ الى درجة الاسقفيّة احدهم لكنيسة نُوهَدْرة وهي مدينة حصينة على الفرات

ثم عاد ابن العبري الى الموصل ليهتمّ بشؤون الرعيّة فوجد اهل ملّتهِ في اسوإ حال

١) ولبطاركة اليعاقبة مركز آخر في شماليّ شرقيّ ماردين على نحو اربعة اميال منها وهو دير الزعفران وفيه دخلنا على البطريرك الحالي عبد المسيح في تشرين من سنة ١٨٩٦

لأنهُ لم يكُ يبقى منهم الّا قومٌ يسير وذلك انّ نصارى الموصل كانوا زايلوا بلدتهم قبل ذلك باربع سنين خوفاً من صاحبها الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ وكان اساء اليهم المعاملة. فخرجوا الى اربل واستوطنوها. وكان اكثرهم من اليعاقبة فبنوا لهم هناك بيعةً. فجاء بعد خروجهم عسكر المغول باغراء شمس الدين بن يونس احد امراء الملك الصالح وفتحوا الموصل ونهبوها وقتلوا فيها مدة ثمانية ايام عالمًا لا يُحصى. وكان الملك الصالح من جملة الاسرى قتلهُ بعد ذلك هولاغو وتولّى الموصل مكانهُ شمس الدين بن يونس ثم تنغير عليهِ المغول وقتلوهُ وقرَّروا بدلهُ حاكمًا زكيّ الاربلي

فصرف ابن العبري في الموصل أيامًا ينظر في حاجات رعيّتهِ ويجبر قلوبهم ويوصي بهم ذوي الامر ثمَّ ركب دجلة يقصد بغداد وفيها وتنذر قسمٌ كبير من مرؤوسيه

(ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وقرَّر بيَدَمُر على السور المذكور جامكيَّةً من المرتَّب المذكور وبقيت هذه المرتّبات مستمرَّةً الى عود السلطان الملك الظاهر برقوق[1] الى السلطنة الثانية ونيابة ألطُنبغا الجوباني[2] بالشام. فاستقطع مُقبل الشمس[3] متولّي بيروت المتوفّر في الميناء وبعض المُرَتَّبات بامريَّة الطبلخاناة. واحال بما عليهِ من البدل والديون على الصادر من البهار واسر باخذهِ من دار العشر بدمشق وجعل المتكلّم عليهِ صدقة التريكيّ الترجمان[4] فاستقرَّ ذلك

---

١) تولّى الامر في مصر من سنة ٧٨٤ الى ٨٠١ ﻫ (١٣٨٢–١٣٩٨م) . وهو اوّل دولة المماليك الشراكسة

٢) كان احد مماليك السلطان الملك الظاهر برقوق ولّاهُ نيابة الشام في اواخر القرن الرابع عشر للمسيح

٣) مراده بالشمس شمسُ الدين مُقْبل ولم نحصل على شيء من اخباره

٤) نظنُّ انهُ يريد الامير صلاح الدين صدقة من امراء الارسلانيين المتوفّى سنة ٧٨٩ (١٣٨٧م)

عادة. ثمّ تلقّح على الولايات غيرُ اهلها فاستكثروا ذلك فجعلوا الصادر اثلاثًا لنائب الشام ولكاتب السرّ وناظر الجيش بمصر. وبقي لمعلوم الولاية الواردُ بباب الميناء وصادرٌ قليل وهو الخارج عن البُهار. ثم ساءت حال الولاة فأُعطي ثُلثا الوارد بباب الميناء لمباشِرَي الشام ومصر

وامّا ارباب الايزال(١ فكانت جنود حَلْقة بعلبكّ تتجرَّد الى بيروت ابدالًا (18r) يبقى كلُّ بدلٍ شهرًا. وفي سنة ست وسبعمائة (١٣٠٦ م) اقرُّوا التركمانَ بكسروان وتداركوهم بثلثمائة فارس وجعلوا دركَهم(٢ من حدود انطلياس الى مغارة الاسد على حدود معاملة طرابلس(٣ فكانوا يمنعون من يستنكرونهُ ان يتعدَّى دَرْبند(٤ نهر الكلب الّا بورقة طريق من المتولّي او من امراء العرب كما يفعلون بقُطْية(٥ على درب مصر. وجعلوا التركمان المذكورين ثلاثة ابدال كلّ بدل يقيم في الدرك شهرًا. وموجب استقرارهم بكسروان انَّهُ لمّا فُتح كسروان كما ذكرنا اقطعوهُ لاناس لم يكفوه فانزلوا فيهِ التركمان لكثرتهم ولحفظ المواني والدروب

وكان الملك المظفَّر تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيّوب(٦ صاحب حماة قد اوقف وقفًا على جماعة خيّالةٍ ورجّالة برسم الجهاد في سبيل الله تعالى واشرط عليهم بان يكونوا في اقرب الموانئ الى دمشق. فلمّا استوطن المسلمون بيروت بعد الفتوح الاخير استقرّ اقامة المجاهدين المذكورين بها لقربها من دمشق. وفي ايّام السلطان الملك الظاهر برقوق عُمِرَ

---

١) كذا في الاصل ونظنّ انّ ذلك تصحيف والصواب « الايزاك » جمع يَزَك وهم الطلائع في مقابلة العدوّ ورؤساء العَسَس

٢) الدَّرك المحطّة يحرسها الجنود والقوم تعهد اليهم الخراسة (Quatrèmere, *Hist. des Mamluks* I, 1. p. 169)

٣) وجاء في كتاب اخبار الاعيان (ص ٢١٢) ان الدرك جُعل من حدود انطلياس الى منارة الاسد وجسر المعاملتين. (وقال) وكانت سكنام في برج جونية

٤) الدربند كلمة تركيَّة معناها المَضِيق مركَّبة من در (باب) وبند (حاجز)

٥) القطية قرية في طريق مصر في وسط الرمل وهي المجاز بين الشام ومصر (راجع ابن بطوطة الجزء الاول ص ١١٢ (ed. Sanguinetti)

٦) كان ابنَ اخي صلاح الدين ايوب تولى حماة من سنة ٥٧٤ (١١٧٨م) الى سنة ٥٨٧ (١١٩١م)

البرج الكبير ببيروت على قاعدة برج من ابراج القلعة الخربة فقرّروا بهِ المجاهدين المذكورين

ذكر اوّل امور بني الغرب في بيروت

امّا امراء بني الغرب فاستقرّ دركهم على بيروت سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٤م) وهي ثالث سنة الفتوح [الاخير] وذلك في ايّام الامير زين الدين صالح بن علي بن بُحتر وايّام الامير سعد الدين خضر بن (18) محمَّد واخيه جمال الدين حجى بن محمَّد واوائل ايّام ولدهِ الامير ناصر الدين حسين بن خضر الآتي ذكرهم ان شاء الله تعالى. وفي ايّام ناصر الدين حسين استقرّ امراء الغرب تسعين فارساً وانقسموا ثلاثة ابدال في كل شهر بدلٌ يقيم منهم ببيروت ثلاثون فارساً وفي انقضاء الشهر يحضر ثلاثون بدلهم وفي ذلك يقول بعض شعراء زمانهم:

ايا ابنَ اميرِ الغرب شرقاً ومغرباً   ومَن كلُّ عُرفٍ غيرَ عرفهمِ نُكرُ
باحسانك المشهورِ بيروتُ بلدةٌ   على الساحل المعمور صار لها ذكرُ
تبسَّمَ عُجباً ثغرُها وترنّحتْ   معاطفُها تيهاً وجلَّلها البِشرُ
وكان عليها الكفرُ والشركُ دائماً   مذ جاءها مولاي عاد لها الفخرُ
وعاودها أُنسٌ بقربِ ركابكم   ولولاكمُ ما افترَّ يوماً لها ثغرُ
فعطفُ غصونِ الدوحِ انّى حللتمُ   تميسُ وثغرُ الروض بالنَّوْرِ يفترُّ
بكم قرَّ عيناً للغريب وانّما   حُسينُ بنُ خضرٍ ظلُّهُ فوقَهُ سترُ
هو الناصر المعروف بالجود والتقى   لهُ الفضلُ والاحسانُ والعطفُ والبِرُّ

تقسيم المؤلف لتاريخ امراء بني الغرب

ثمَّ بعد هذا نذكر السَّلف فاوّلهم بُحتر. ثمَّ ولدهُ كرامة. ثمَّ حجى بن كرامة. ثمَّ محمَّد بن حجى. ثمَّ نجعلهم طبقاتٍ. في الطبقة الاولى نذكر جمال الدين حجى بن محمَّد ومعاصريهِ. وفي الطبقة الثانية ناصر الدين الحسين بن الخضر ومعاصريهِ. وفي الطبقة الثالثة ولدهُ زين الدين وبنيهِ ومعاصريهم. ثمَّ بعدهم كلٌّ واحد بحسبهِ (19)

جدول اوّل

لنسب الامراء التنوخيين من بني الغرب

- تنوخ
  - جُهَير
    - عيسى
      - احمد
        - عليّ
          - محمّد
            - ابراهيم
              - الحُسين
                - عليّ
                  - بحتر
                    - شرف الدولة عليّ (نسبهُ في الجدول الثاني)
                    - زهر الدولة كرامة
                      - جمال الدين حجى
                        - شرف الدين عليّ
                          - زين الدين صالح (نسبهُ في الجدول الخامس)
                        - نجم الدين محمّد
                          - جمال الدين حجى (نسبهُ في الجدول الثالث)
                          - سعد الدين خضر (نسبهُ في الجدول الرابع)
              - عبد الله
                - طارق
                  - طريف
                    - هرماس
                      - عبد الله
                        - ابو المكارم
                          - معتب
                            - معن
                              - علم الدين
                                - …

بحتر جدّ امراء بني الغرب ونسبهِ *

هو الامير ناهض الدولة ابو العشائر بُحتر بن شرف الدولة علي بن الحسين بن ابي اسحق ابرهيم بن ابي عبدالله محمَّد بن علي بن احمد بن عيسى بن جُمَيهر (١ بن تنوخ بن قحطان ابن عوف بن كندة بن جُندب بن مَذحِج بن سعد بن لُحَيّ بن تيم بن نعمان بن المنذر ابن ماء السماء. وماء السماء اسم امهِ لُقّبت بذلك لجمالها واسمها ماوية بنت عمرو نُشهر المنذر المذكور باسم امهِ. هذا ما وجدناهُ متداولًا بين الخلف عن السَّلَف بخطّ ناصر الدين الحُسين بن سعد الدين خضر مسندًا فيهِ على الصحَّة

قلتُ فاردتُ ان اوصل النَّسب الى نهايتهِ معتمدًا فيهِ على ما ذكرهُ اصحاب التواريخ وبذلتُ الجهدَ في المقابلة بين اقوالهم فوجدتُ اصحَّ الاعتقاد في ذلك على احمد بن عبد ربّهِ (٢ وعلى الملك المؤيد صاحب حماة (٣ وهما قد طابقا كثيرًا من المؤرخين فاخذت عنهما

انَّ المنذر بن ماء السماء المذكور الذي انتهى اثبات النسب اليهِ كما ذكرنا هو المنذر (٤ بن امرئ القيس بن النعمان الاعور بن امرئ القيس المحرّق ابن عمرو بن امرئ القيس الاول (٥ بن عمرو بن عديّ بن ربيعة بن الحارث بن مالك (٦ بن غنم (٧ (١٩) ابن نُمارة بن لخم. ولخم لقبٌ واسمهُ مالك (٨ بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدد بن

* راجع الجدول الاوَّل لنسب التنوخيين

١) وجاء في تاريخ الاعيان (ص ١٢٧): جمهر
٢) راجع الجزء الثاني من العقد الفريد
٣) راجع تاريخ ابي الفداء الجزء الاوَّل (ص ١٠٦)
٤) وجاء في كتاب الاشتقاق لابن الدريد ان المنذر هذا هُو ابن المنذر بن ماء السماء (ص ٢٢٦)
٥) ويسمَّى ايضًا امرء القيس البدء
٦) وفي كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٢٦) انَّ مالكًا هذا هو ابن السعود (والصواب مسعود) بن الحارث بن عمرو بن ربيعة بن نصر بن عدي
٧) والصواب « مالك بن عَمَم » (راجع كتاب الاشتقاق لابن دريد ص: ٢٢٦)
٨) والصواب ان مالكًا هذا غير لخم وانما هو ابن اخي لخم

زيد(١ بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. بن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان (٢ بن عابر وهو هود النبيّ عليهِ السلام(٣ وعابَر بن شالَح بن ارفخشيد ابن سام بن نوح عليهِ السلام بن لامك بن متوشالح بن احنوخ (٤ ويقال هرمس وهو ادريس عليهِ السلام. واحنوخ بن يزيد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيت بن آدم عليهِ السلام

نسخة منشور باسم بحتر المذكور

العلامة فوق البسملة الشريفة وهي طنار (٥ حقّ الاتابكيّ الظّهيري (٦. ومضمونهُ:

رسمَ اعلاهُ الله وامضاهُ كَتْب هذا المثال الشريف للامير الاجلّ ناهض الدولة ابي العشائر بحتر بن علي بن ابرهيم بن ابي عبدالله ادام الله تأييدهُ وتسديدهُ وتمهيدهُ باجرائهِ على رسومهِ المستمرّة وقاعدتهِ المستقرّة من الضياع المنسوبة الى رسمهِ المعروفة باسم والدهِ واسمهِ وان يتناول ما يخصّ الخاصّ السعيد منها بحيث يصرفهُ في مصالحهِ ويتقوّى بهِ على الخدمة ويجري على معهودهِ من الامارة بالغرب من جبل بيروت وهو معروفٌ منعوت لِمَا

---

١) ويروى : يزيد

٢) دعاهُ في سفر التكوين (١٠ : ٢٥) يقطان . ودعا ابناءهُ موداد (مضض) وشالَف وحضرموت ويارح وتسعةً آخرين لم يُذكر بينهم يعربُ. ونظنُّ ان يعرب من سلالة قحطان وانَّ بينهُ وبين قحطان قروناً كثيرة

٣) هذا زعمٌ للعرب لم يمكنّا اثباتهُ

٤) وفي التوراة (فصل التكوين ٤ : ١٨) ان متوشائيل هو ابن محوبائيل بن عيراد بن الخنوخ (او احنوخ). وقولِ المؤلف انّهُ هو ادريس وهرمس من مزاعم العرب الغير البيّنة

٥) الطنار كلمة اعجميةٌ معناها العلامة و يقال لها الطغراء.

٦) انتساباً الى ظَهير الدين اوَّل اتابكة دمشق واسمهُ طغتكين ويدعى سيف الاسلام كان اوَّلا اتابك لامير دمشق دقاق بن تُتُش بن الب ارسلان السلجوقي ثمّ تولّاها بعد موت موتهِ سنة ٤٨٨هـ (١٠٩٥ م) وتوفي سنة ٥٢٢ (١١٢٨م) فخلفهُ ابنهُ تاج الملك بوري فمات سنة ٥٢٦ (١١٣٢م). ثمّ خلفهُ اخوهُ شمس الملك اسمعيل الى سنة ٥٢٩ (١١٣٥م). ثمّ تولّى دمشق اخوهما شهاب الدين محمود بعد وفاة اسمعيل سنة ٥٣٣ (١١٣٩م) فقُتل بعد ذلك بقليل فخلفهُ اخوهُ محمّد جمال الدين فتوفي سنة ٥٣٤ (١١٤٠م) فخلفهُ ابنهُ آبق مجير الدين وكان حديث السنّ فتولى التدبيرَ باسمهِ معين الدين انر . وبقي الامر في يد مجير الدين آبق الى سنة ٥٤٩ (١١٥٦م) فنزلهُ نور الدين. وفي ايامهِ حاصر الفرنج دمشقَ فلم يقووا عليها لما كان بينهم من الخلاف. ورحل آبق الى بغداد و بنى لهُ بها قصراً وبها توفي

عُرف من نهضتهِ وكفايتهِ وحسن سيرتهِ وامانتهِ. والواجب على الرؤساء والفلاحين اعزّهم الله تعالى سماع ... والدخول تحت طاعتهِ فيما (20) يلتمسهُ منهم من استخراج الحقوق السلطانية وموافقتهِ على ما يطرأ من الخِدَم الديوانية. وليحذروا من الخلاف فيعود عليهِ الحيف والاجحاف. وسبيلهُ ادام الله تاييدهُ الذبّ عنهم وايصال شكاويهم الى ...ب والمتصرفين والاصحاب بحيث يجرون على عادتهم من غير تحديد رسمًا ولا حادث حيف اسًا. والواجب على الوُلاة والنُوّاب المستجدّين والاصحاب اجراء الامير المقدّم ذكرهُ ...ى ما رسمناهُ. والمعتمد على العلامة الكريمة في اعلاهُ ان شاء الله. كُتب في العشر الاوسط من محرّم سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧ م)

وهذا التاريخ في ايام الامير مجير الدين ابي سعيد آبَق بن جمال الدين محمّد بن تاج المُلك بوري بن ظهير الدين طغتكين وهو اتابك الملك دُقاق بن تُتُش (١ وولاية آبق المذكور بعد وفاة والدهِ ثامن شعبان سنة اربع وثلاثين وخمسمائة (١١٣٩ م) وكانوا اصحاب دمشق. واستمرّ المذكور بها الى ان اخذها منهُ الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في ثالث صفر سنة تسع واربعين وخمسمائة (١١٥٦ م) وعوّضهُ عنها حمص ثمّ اخذها منهُ وعوّضهُ عنها بالس (٢. ثمّ توجّه آبق الى بغداد. ذكرتُ آبق للعلم بتاريخ المنشور وذكرتُ الملك العادل توطئةً لما يأتي من ذكر مناشير السَّلف ان شاء الله لانّ اصحاب دمشق هم الحكّام على بيروت (20) واعمالها والمدينة كانت بيد الفرنج

(ستأتي البقية)

رواية الشقيقتين

(للاب هنري لامنس اليسوعي)

ألا أنعم بالطبيعة والدةً تستدعي في كلّ حال من ابنائها العجب ولكن تراها في بعض الامور الطف صنعًا منها في غيرها فتاوح من وراء أعمالها يد خالقها المتأنّق

ومثال ذلك ولادة اختين شقيقتين توأمتين تجمع الطبيعة بينهما في مولج الحياة تربط منهما الجنان بعلائق شديدة وثيقة تتردّع في قلوبهما منذ نعومة الاظفار عواطف متبادلة

---

١) راجع الحاشية السابقة

٢) هي مدينة صغيرة في الشام بين الرَّقّة وحلب

تنمو وتتمكّن مع تقدّمهما بالسنّ فتراهما لبعضهما سندًا في كل اطوار الحياة عضدًا تتقاسمان الافراح في السرّاء والاتراح في الضرّاء. لا ينتزع بينهما الوداد الى ساعة المنون وربّما جمع بينهما ضريح واحدٌ الى قيام الساعة

١

لو أُتيح لك أيُّها القارئ اللبيب ان ترقى منذ بضعة اعوام احدى قمم لبنان ليس بعيدًا عن السابلة المؤدّية من بيروت الى دمشق الشام لكنت رأيت على منعطف أكمة في مكان يُعدّ من انزه مواقع الجبل بيتًا انيق الهيئة لطيف البناء شيّدهُ المسيو ب. وهو اذ ذاك قنصل عامّ لاحدى الدول الكبرى في سوريّة جعلهُ مصيفًا يأوي اليهِ مع عائلتهِ فرارًا من لظى قيظ بيروت. وكان جانب من المنزل تحجبهُ اشجار الأزدرخت (الزنزلخت) والصنوبر يتلاعب في اغصانها نسيم الصبا وتتغرّد فوق افنانها طيور الرُّبى

امّا هندام المسكن فلم يكُ يشبهُ بشيء ما جاورهُ من المساهد الصيفيّة وانّما اراد صاحبهُ ان يجمع فيهِ بين هيئة المصايف السويسريّة وخواص الدور السوريّة المحدثة فكان يعلوهُ القرميد الاحمر على شكل مخروط. وفي وسط البنا شُرَف ناتئة مستطيلة (بلكون) لترويح النفس في طرفي النهار

وكان امام البيت سطح واسع الفناء يُشرَف منهُ على منظر بهيّ. فكنتَ ترى على بُعد تموّج البحر الزاخر إذ ترمي عليهِ الشمس اشعّتها الذهبيّة او يجيش بامواجهِ فينتظم لهُ على الساحل سلكٌ من دُرَر الزَّبَد. فهناك مضجعةٌ بيروت وهي اشبه بملكةٍ حسناء ترتفق الى سفح الجبل وتبسط رجليها في غمر البحار بينما تنطق اعطافها مناطقُ زبرجد صيغت لها من خضرة بساتينها وغابات صنوبرها. ولو كنتَ سرّحت النظر في الربى القريبة لآنست من لبنان مشهدًا يروق البصر ويأخذ بمجامع القلب

ففي اليوم الذي بهِ تستهلُّ روايتنا كنت ترى اهل الدار الموصوفة آنفًا يسعون في تهيئة حجرةٍ لاستقبال ضيفٍ شريف على وشك القدوم من بلاد اليونان اسمهُ البارون شرل دي لينس وهو كهلٌ في قوّة الشباب عمره خمس وثلاثون سنة من ارباب السياسة يتعاطى في عاصمة اليونان امور دولتهِ بهمّةٍ علياء. وكان شرل ذا اخلاقٍ راضية وعواطف ليّنة بيد انهُ شديد التحمُّس في الدين يسير على مقتضى مبادئهِ علانيةً دون حياء

وكان المذكور تيتّم في حداثة سنهِ فتربّى في حجر احد اعمامهِ وقد ورث من والديهِ اسمًا

شريفًا وثروة طائلة . وكان مع ريعة شبابه ونشاط سنه تائقًا الى الراحة والتخلي من اشغال مهنته المضنكة مستمسكًا من حياة العزلة والتفرُّد . ومن ثمَّ ما كادت تبلغهُ أُلوكة القنصل المسيو ب . وهو صديقٌ حميم لوالده المرحوم يدعوهُ بها الى مصيفهِ في لبنان حتى اسرع فطلب عطلة شهرين وسلَّم موقتًا اشغالهُ في السفارة بأثينة الى بعض زملائهِ وركب في البيره سفينة الساجري مُبحِرًا الى بيروت

وكان البارون دي لينس كلفًا بالاسفار البحريَّة الَّا انَّ سفرتهُ هذه في غُرَّة آب كانت احلى لديهِ واوقع في قلبهِ لصفاء الجوّ ولين النسيم ووفرة المناظر البهجة . وكانت حركة السفينة وهي تمخر في وسط المياه تمثل لهُ حياتهُ السابقة الكثيرة التنقُّل والتقلُّب مع انهُ لم يكد يبلغ سنّ الكهولة . فكان يقضي الساعات وهو متوكئ على إطار السفينة يفكر في ما طرأ عليهِ من كوارث الزمن وصروف الدهر ويقابل بين عيشته الهنيئة الحالية من الهموم في الوقت الحاضر وحالتهِ امس بين الهواجس والشواغل السياسية فيشكر لأفضال المسيو ب . اذ قرَّب اليهِ نوال الفرصة لترويح البال فلا يعود يسمع ثرثرة اليونان يطنبون تارةً في مديح اجدادهم فيرفعونهم فوق السُّهى ويدَّعون أُخرى بالفخر على من سواهم من الشعوب وربَّما طمحوا بالبصر الى التملُّك على بلاد مجاوريهم . فنحا والحمد لله من إبداء رائهِ في حزب تريكوبيس او الانتصار لدالياني ولا يحتاج ان يثني على توقُّد فهم السيِّدة .... بولو وحسن زيّ ابنة السيِّد .... يدس ويجزل الكلام ها تصار حرًّا

وبينا كان شرل غائصًا في بحر هذه الافكار كانت السفينة اجتازت امام رأس سونيوم مواصلة سيرها الى جهة إزمير مارَّةً بين عديد جزائر الارخبيل كديلوس وتكسوس التي كانت تظهر في اوّل ساعات الليل كاجرام عظيمة لا صورة لها تلوح على سواحلها من وقت الى آخر ضياء منائرها لتأخذ السفن حذرها من الصخور . فما كان يُسمع في هدوء الليل غير صوت السفينة وهي تشقّ المياه وتخطر في سيرها السريع وكان اغلب الركاب يأوون الى مراقدهم . اماَّ السماء فكانت رائقة تتلألأ بكواكب كالدراري والبحر يعكس انوارها فيسحر منظرها العقول ويجمل القلوب الى خالقها

الَّا ان هذه المناظر وان كانت تدفع النفس الى الهذيذ والتأمل لم تكُ لتشغل عقل البارون عن افكار مختلفة كانت تتجاذبهُ منذ زمن قليل . أجل انَّ رؤية لبنان الذي هو قاصدهُ أشهيَّة بديعة والاجتماع بالاصحاب لَمُورِدُ افراحٍ عذبة صافية ولكن تُرى ماذا يحلّ بهِ بعد ذلك

والى ايّ طيّة يوجّه افكارهُ ليستقرّ بها قرارهُ ويرتع في ظلّ ا[illegible] الراحة . أيكون سعادة القنصل ب[illegible] سبق وتفهّم نيّتهُ فاستدعاهُ ليعرض عليهِ كما [illegible] غيرهُ كثيرون الاقتران باحدى ابنتيهِ ويتزعهُ حريّتهُ بوضع ربقة الزواج في عنقهِ ؟

وما كاد هذا الفكر يخطر ببال البارون حتى وجم ساكتاً واطرق كاسفاً . ثم قام بعد هنيهة فنزل وهو لا يعي الى المنام وبات ليلتهُ قلقاً يتململ من الهمّ على فراشهِ . ولمّا كان الصباح رقي سطح السفينة فاذا بوجه البحر تجعّد قليلاً وبانت على قربٍ سواحل كرمانية وجبالها الشاهقة كستها اشعّة الشمس الطالعة بجلباب نورٍ وبهاء . الّا انّ هذه المشاهد الشائقة والمناظر الرائقة لم تعمل في قلبهِ وعادت افكار المساء المنصرم فعكّرت صباحهُ وبقي في مُعظم يومهِ منزعجاً مشوّشاً فجعل يخطو مسرعاً ذهاباً واياباً فوق سطح السفينة يجس كما في اليوم السابق مفكّراً في امر مستقبلهِ وهو يردّد هذا القول : ماذا اصنع بعد

ما الجدوى من هذه التربية المتقنة التي نالها في صباهُ ومن هذه الدروس التي زيّن بها عقلهُ وفي صالح مَن يحسُن بهِ ان يصرف قواهُ او ماذا يفعل بهذه التركة الواسعة التي اورثهُ اياها والداهُ ؟

أيصير كاهناً او مرسلاً ؟ نعماً الدعوة لولا انّها من الله لا يسوغ للانسان ان يسبق فيها ارادتهُ تعالى

افيقترن بسُنّة الزواج ؟ تلك طريقة الناس عموماً ولكن يا بؤسهُ اذا خُدع بالمال او الجمال فوقع بيد امرأةٍ ليس لها من الصفات غير ظاهرها ويكونُ خبرُها دون خبرها تقضي عامّة ايامها في الاباطيل فتضحي لزوجها اثقل من العبء الثقيل

أو يبقى وحدهُ معتزلاً عن الاشغال عاكفاً على العلوم متفرّغاً لصنيع الخير الى ذوي جنسهِ ؟ فكانت هذه الافكار وأمثالها كثيرة تتجس في ضميرهِ معكّرة كأس هنائهِ في بقيّة سفرهِ حتّى بلغت السفينة بالركاب الى ميناء بيروت فافاقهُ منظرها البهيّ من سكرتهِ

(ستأتي البقيّة)

شتّى

الرخّ والعنقاء

قد اطّلع كثيرٌ من علماء دار السلام . من نصارى وإسلام . على ما ذيّلتم بهِ مقالتي

فكان به إتاني ... عوص عنقاء مُغرب. التي حيّرت عقول اهل المشرق والمغرب. فاستحسنوه ... بي أعينهم ما بتنتره. وشاقهم أسلوب تحقيق مجلّتكم البهيّة. وتوسّموا فيها نهضة العلوم الشرقية. ودفاعكم عن حقوق اللغة العربيّة المبخوسة. و إعادة آثارها المدروسة. ونظركم هذا نبّهَ في افكار بعض المطّامين على اللغات الافرنجية. والعارفين بالعلوم الطبيعية. انهُ اذا كان الرُّخ هو الطائر القديم المصطلح عليه بلفظة Epyornis عند العلماء فالعنقاء تكون ما اصطلح عليه اهل هذا الفنّ بلفظة Dinornis . وقد جاء في احد المجلات الفرنسية الحديثة ما ترجمتهُ بحرفهِ الواحد: « ان طير العنقاء Dinornis طير هائلة العظم من مجموع الطيور السَّفَنيَّة (نسبةً الى السفينة وسمّيت كذلك لعظمها كالسُّفُن) Ratités التي عاشت سابقًا في زيلندة الجديدة وتوجد اليوم عظامها في الاراضي الرَّمْلية والمغاور. والعنقاء الهائلة D. giganteus ربّما كانت اكبر طائرٍ وُجد على البسيطة. فانّ طولها كان يُربي على الثلثة امتار علوًّا. لانّ ارجلها من بعد ان ركّب أوِن (Owen) أوصالها كانت تبلغ اكثر من مترٍ واحدٍ وخمسين سنتيمترًا — امّا العنقاء الشبيهة بالفيل D. Elephantipes فهي اصغر من السابقة قامةً. وكانت ارجُلها مُصمّتة بنوعٍ غريب. — وجنس العنقاء المشتمل على عشرة انواع انقرض ويمتاز من جنس الاوزّ الأقطع (Apterix) جارتها بكون اصابع ارجلها ثلاثًا عوضًا عن اربع اصابع » اه

اقول وكلمة Dinornis العلمية ... من δεινός اي غريب او نادر و ὄρνις اي طائر فيكون معناها الطائر الهائل العظم او الطير الغريب او النادر. وكما ان العرب يُريدون بالعنقاء طائرًا : « بيضهُ كالجبال » فالمتبادر الى الذهن ان العنقاء اكبر من الرُّخ فينطبق على ما يقولهُ الافرنج بان الدينورنيس اعظم من الأپيورنيس وذلك من بعد طرح شيء من مبالغة العرب. وممّا يقوّي هذا الرأي ويدعمهُ هو انّ العرب يذكرون بان العنقاء « طائر كان يعيش في الجهات الحارّة القريبة من خطّ الاستواء في جزائر البحار التي بين الهند والصين » (المشرق الصفحة ٢٠٣). ولا يُعرَف اليوم طائر عاش في تلك الاصقاع تنطبق عليه هذه الاوصاف اكثر من الدينورنيس اذًا . . . وامّا الرُّخ فكان يعيش في مدغسكر وجُزُر بحر الهند: « وقد عرفهُ تجار العرب في القرون المتوسطة ووصفوهُ لمواطنيهم » (المشرق ص ٢٠٥) وهذا يسمّيه العلماء ايپورنيس

وازيد على ذلك بان هذا كلهُ لا يمنع القول بانّ من العرب من سمّى عنقاء بعض

طيورٍ طويلة العنق. والشاهد على ذلك كتب متن اللغة ذكرهُ ابن خِلّكان في تاريخ احمد بن عبدالله بن احمد الفرغاني. والخلاصة من كل ما تقدم هو :

ان العنقاء هي Dinornis على الاصحّ وهو منقرض اليوم. والرُّخ هو Epyornis وهو منقرض ايضاً. واماً ما يسمّى اليوم باسم عنقاء فهو المسمَّى بلسان العلم Anhinga. والله اعلم بالصواب ..

هذا واختم كلامي بالشكر لأصحاب المشرق بما اتحفونا بهِ من بديع مكتشفاتهم وذلك عن لسان كثيرين من ادباء هذه المدينة العظمى. ومؤملين ان يكون هذا المبدأ هلالاً ينمو ويزهو لا يعرف الانمحاق ولا الانخساف خيرًا لابناء المشرق الاب انستاس ماري

دي سنت ايلي الكرملي البغدادي

كتب شرقية جديدة

Pubblicazioni scientifiche del R. Instituto Orientale in Napoli

١ ديوان ابن حمديس الشاعر الصقلي وقف على طبعهِ وتصحيحهِ ج بِكيا باريلي (ص ٥٠٠)

٢ كتاب فتحت تحتت سعى بنشره الدكتور اغناطيوس غويدي (ص ٣٤٠)

Roma, 2 vol.,, Tipographia della casa e[illegible]rice italiana, 1897

قد اهدتنا ادارة المكتب الشرقي في نابولي هذين الكتابين النفيسين : فالاول هو مجموع اشعار الشيخ عبد الجبَّار بن ابي بكر بن محمَّد بن حمديس الصقلي الذي ولد في سرقوسة سنة ٤٤٦ هـ (١٠٦٥ م) وتوفي ٥٢٧ (١١٣٣ م) وكان من ابلغ شعراء عصره نعتهُ ابن بسَّام في كتاب الخريدة بقولهِ «انهُ يقرطس اغراض المعاني البديعة ويعبّر عنها بالالفاظ النفيسة الرفيعة ويتصرَّف في التشبيه ويغوص في بحر الكلم على درّ المعنى الغريب». ومما يزيد هذا الديوان فائدةً انهُ يشتمل على عدَّة امور تاريخيَّة من شأنها ان تعرِّف احوال العرب في صقلية لمَّا كانوا مستولين عليها. وهذا المجموع مع نفاستهِ كان اضحى اعزَّ من بيض الانوق لولا انَّ الحميَّة استفزَّت بالدكتور بِكيا باريلي فاحيا هذا الاثر الجليل بعد ان كادت تذهب بهِ يدُ الضياع. واعتمادهُ في طبعتهِ على نسختين احداهما محفوظة في المكتبة الڤاتيكانية والاخرى في المتحف الاسيوي في بطرسبرغ فقابل بينهما وزاد عليهما فوائد جمَّة

التقطها من كتب الا‍د... ومجموع القصائد او الشذرات التي يحتويها هذا الديوان لا يقلّ عن ٣٦٠ عددًا ... ـبع الكتاب طبعًا جميلًا بالحرف القسطنطيني الكبير وكلهُ مضبوط بالشكل الكامل يزين كلّ صفحاتهِ اطار احمر انيق

اما الكتاب الثاني فهو بالحبشيّة قام بنشرهِ بعد تنقيحهِ العالم العلاّمة الدكتور اغناطيوس غويدي اللغوي الشهير . ويستدلّ على فحوى الكتاب من اسمهِ ومعنى « فِتحت نَجَسْت » في الحبشيّة (شرائع الملوك) وهو يتضمن في خمسين فصلًا كلّ ١٠ يختصّ بفقه الحبش وشرائعهم الدينيّة والدنيويّة . والكتاب على صورتهِ هذه قد وضع في آخر القرن السادس عشر . اما مضمونهُ فيرتقي الى القرون الاولى من تنصُّر الحبش . ومنهُ نسخ كثيرة في خزانات كتب اوربة استفاد منها جميعًا الدكتور المذكور فجاءت هذه الطبعة تامّة الفوائد وعمّا قليل سينقلهُ جناب متولّي نشرهِ الى اللغة الايطالية . فنثني على همّة الدكتور غويدي لقيامه بهذا المشروع الحسن ونطلب الى الله ان يمدّهُ بيد المساعدة لينجزهُ قريبًا

أسئلة وأجوبة

س سألنا ك . ف . احد مستشرقي المانية عن اقدم شهادة جاءت في كتب العرب عن الابرة المغناطيسيّة (boussole)

ج انّ اقدم شهادة دوّنت في كتب العرب على ابرة المغناطيس ما ورد في كتاب خطّي يدعى كنز التجار في معرفة الاحجار لبَيْلَق القبجاقي الكاتب في سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) فقال في الصفحة ٦٨ من نسخة باريس ما نصهُ : « ومن خواصهِ (المغناطيس) انّ رؤساء بحر الشام اذا اظلم عليهم الجوّ ليلًا ولم يروا من النجوم ما يهتدون بهِ على تحديد الجهات الاربع ياخذون اناء مملوءة ماء ويحترزون عليهِ من الريح بان ينزلوهُ الى بطن السفينة ثم ياخذون ابرةً وينفذونها في سمرة او قشّ حتى تبقى معارضة فيها كالصليب ويلقونها في الماء الذي بالاناء والمدود لها تطفو على وجههِ ثم ياخذون حجرًا من المغنطيس كبيرة ملو الكفّ او صغير ويدنونها من وجه الماء ويحركون ايديهم دورة اليمين فعندها تدور الابرة على صفحة الماء ثم يرفعون ايديهم على غفلة وسرعة فان الابرة تستقبل بجهتيها جهة الجنوب والشمال . رأيتُ هذا الفعل منهم عيانًا في ركوبنا البحر من طرابلس الشام الى

اسكندرية في سنة اربعين وستمائة (١٢٤٢ م) وقيل ان رؤساء مسافري بحر الهند يتعوضون عن الابرة والسمرة بشكل سمكة من حديد رقيق مجوّف مستعد عندهم يمكن انهُ اذا القي في ماء الاناء عام وسامتَ براسه وذنبه الجهتين من الجنوب والشمال (اه)

وعُرِض علينا سؤال آخر بخصوص وِجهة الابرة المغناطيسية الى الشمال نجيب عليهِ في العدد القادم

س وطلب الخواجا انطون افندي مسابكي عن سبب تقديم اللاتين لرتبة عيد القيامة في صباح سبت النور

ج انَّ اللاتين كانوا سابقاً كبقيّة الطوائف الشرقيّة يقضون عامّة ليلة السبت الى الاحد في الكنائس يحتفلون بحفلات عيد القيامة. فلمَّا رأى الاحبار الرومانيُّون والرؤساء الروحيّين انَّ احياء الليل كلّهِ في الصلاة والرتب الدينية يشقُّ على كثير من المؤمنين رخَّصوا في تقديم هذه الحفلات في مساء السبت كما يفعل الى الآن الارمن والسريان وغيرهم. ثمَّ بعد توالي الأعقاب لمَّا فتر الايمان وصعب على كثيرين حضور الرُّتب مرّتين في يوم سبت النور جمعت الكنيسة بين هاتين الحفلتين ولذلك ترى الرُّتب فيها جانبٌ من الحُزن في اوّلها ثم تنتهي بالافراح. وعلى كلّ ما سبق دليلٌ في الصلوات التي تُتلى في هذا النهار وهي تُشعر بانَّ الليل ضارب اطنابَهُ على الارض

س واقترح علينا الشيخ ص. ح. بيان سبب اتّخاذ البيض وصبغهِ في الفصح

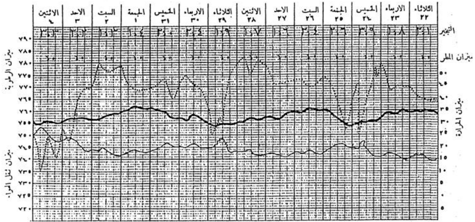
ج انَّ اصحّ ما نرى في تعليل ذلك انَّ البيضة رمز عن قبر المسيح تمثّلهُ بعض التمثيل بشكلها وبكون الفرخ يخرج منها حيًّا بعد دفانهِ كما خرج المسيح من قبرهِ بعد دفنهِ فيهِ مدّةً. ولذلك كثيرًا ما كان يُكتَب في الزمن القديم على بيض الفصح « قام المسيح » وكان المؤمنون يتهادون البيض إشعارًا بايمانهم وربَّما وُزّعت في الكنائس بعد قدّاس احد الفصح المجيد

امَّا صبغ البيضة باللون الاحمر فدليل على ما سفكهُ المخلّص من دمهِ الزكيّ سبيل البشر وعلى محبّتهِ العظيمة نحوهم

ل. ش.

ولدينا عدّة سؤالات لم يسمح ضيق المكان بادراجها في هذا العدد

قائمة للآثار الجوّية من ٢٢ اذار الى ٤ نيسان ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع التابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات